

وفق منهاج وزارة التربية والتعليم الاردنية

عصور الأدب العربي

الجاهلي : الاسلامي : الاموي : الوندلسي

للتالث الاعدادي

تأليف الاستاذين

خالد الساكت و رجا سميرين

الناشر

يوسف عايد حداد

مكتبة التضامن العربي - السلط

الطبعة الثانية

مطبعة الشعب - عمان

مقدمة

باسم الله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على
صاحب البيان الاقوم والادب الأعظم .

وبعد ،

فهذا هو ادبنا العربي في أربعة عصور من عصوره التاريخية توخينا
في عرضه الايجاز ليتناسب مع المنهج الذي اقرته وزارة التربية والتعليم
لطلاب الشهادة الاعدادية . وقد رأينا ان نقدم بين يدي ذلك كله بتمهيد عرفنا
فيه الادب وبيننا وظيفته وعناصره واقسامه والعوامل العامة التي تؤثر فيه .
والله تعالى نسأل ان يوفقنا لخدمة ابناءنا الطلاب

المؤلفان

الفصل الاول

تمهيد

يجدر بنا قبل ان نتحدث عن الأدب العربي في عصوره المختلفة أن نقدم بين يدي ذلك بمقدمة تمهد لنا سبيل دراسته ، إذ لابد لدارس الأدب قبل ان يشرع في دراسته من أن يعرف شيئاً عن ماهية الادب ووظيفته وعناصره والمؤثرات العامة التي تؤثر فيه .

ونبدأ ذلك بتعريف الادب متوخين الايجاز إذ لا ينبغي لنا ان نوج بطالب المرحلة الاعدادية في خضم من الخلافات الناشئة بين الادباء والنقاد في تعريفهم للأدب .

ما هو الادب :

هو فن الابانة عما في النفس من أحاسيس وانفعالات وتسجيل صور الحياة ومظاهر الكون تسجيلاً يثير في النفوس لذة فنية وممتعة شعورية .

وظيفته :

الادب طبيعة من طبائع الفرد وضرورة من ضرورات المجتمع يصور ما في النفس من فكرة أو عاطفة وينقل تصويره الى نفوس القراء فيؤثر فيهم ويعينهم على فهم الحياة ويوقظ مشاعرهم ويوجهها إلى أنبل الغايات الانسانية واسماها . وهو عماد النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية يسجلها ويسايرها ويغذيها وهو بعد كل ذلك وسيلة الاستمتاع بجمال الطبيعة والحياة .

عناصر الأدب :

عناصر الادب ومقوماته في رأي النقاد المحدثين أربعة وهي :

١ - الفكرة

وهي التجربة التي يمر بها الأديب فتؤثر فيه فيصورها نثراً أو شعراً وقد تكون التجربة سارة أو محزنة داعية للسخرية والاستهزاء أو الرضى والغضب أو غير ذلك . وعنصر الفكرة من أهم عناصر الادب إذ أن الادب الذي يخلو من الحقائق سخف وعبث لا يليقان بالعقلاء .

وهو الاداة (١) التي تنقل ما في نفس الاديب الى غيره ليظهر بما شعر ويحس بما أحس .

٣ - العاطفة :

وهي من أهم عناصر النص الادبي التي تميزه من النصوص العلمية وغيرها من الاخبار العادية أو الصحفية . لأنها تعبر عن شخصية الاديب وتصور ذوقه ومزاجه وفكره وروحه ومن أهم ما يشترط في العاطفة الصدق فالغزل المصطنع في شعر البحري والمتنبى وان كان حسن الرصف والصف إلا انه دون غزل جميل والعباس ابن الاحنف وغيرهما من الشعراء المحبين . ويشترط فيها أيضاً أن تكون في مستوى واحد من الحدة والتأجج .

٤ - الخيال :

وهو الاداة اللازمة لاثاره العاطفة ويعتمد هذا العنصر على التشبيه والاستعارة والكناية وسواها من اساليب البيان والبديع .

أقسام الادب :

يعتني الادب بدراسة لونين من ألوان الكلام هما الشعر والنثر . أما الشعر : فهو الكلام الموزون المقفى المعروض في اسلوب أخاذ مشحون بالعاطفة الصادقة التي تعرض فكرة مق الفكر واذا خلا هذا اللون من العاطفة وجمال الاسلوب اعتبر نظماً لا شعراً .

وأما النثر : (٢) فهو الكلام المصور لفكرة من الفكر في اسلوب جميل أخاذ خال من الموسيقى التي تميزه من الشعر وهذا اللون يخاطب العقل لاعتماده على الحجج الدامغة والبراهين الساطعة بخلاف الشعر الذي يخاطب العاطفة والوجدان أكثر من مخاطبته لعقل الانسان .

(١) يقصد بالاداة الالفاظ

(٢) المقصود هنا النثر الفني اذ لا شأن للادب بلغة التخاطب التي تتداولها العامة .

ألا ادب مظهر من مظاهر الحياة الانسانية يخضع لما تخضع له ويتأثر بما تتأثر به وأهم العوامل العامة التي تؤثر في الادب ما يلي :

١ - الاستعداد الفطري عند الانسان للتعبير عن احساسه المختلفة تعبيراً يتناسب مع مبلغ ما منح ذلك الانسان من هذا الاستعداد .

٢ - طبيعة البلاد ومناخها : قد يكون الاقليم جبلياً أو صحراوياً معتدلاً المناخ أو غير معتدل غنياً بجمال طبيعته أو فقيراً فيه وكل ذلك يؤثر في ادب الاديب أو شعر الشاعر . وقد أخذ هذا العامل يضعف بسهولة المواصلات وانتشار المدنية ولكنه سيحتفظ بتأثيره على كل حال .

٣ = خصائص الجنس : فالجنس الأري مثلاً يميل الى الاستقصاء والتعمق في البحث بينما يميل الجنس السامي الى الاجمال والتعميم وبهذا تفسر كثرة المخترعين عند الاوريين « وهم آريون » ونذرتهم بل وانعدامهم عند العرب « وهم ساميون »

٤ - الحضارة والاجتماع : فأدب الحضارة غير أدب البداوة ويختلف نصيب الادب من الرقي تبعاً لاختلاف نصيب الاديب من الحضارة لأن الاديب ابن بيئته وهو صورة صادقة لحياة المجتمع الذي يعيش فيه .

٥ - العلم والدين : والعلم لون من ألوان الحضارة له اثره في ترقية العقل وتقوية الشعور وخلق انواع طريقه من الادب (١) أما الدين ومما يتصل به من اخلاق ومعتقدات فأثره في الادب لا ينكر وكثيراً ما يكون سبباً في خلق ألوان جديدة من الادب . فقد اوجد الدين الاسلامي مثلاً أدب التصوف وشعر الزهد والخطابة الدينية .

(١) كالقصص التاريخية التي يكون لعلم التاريخ اثر كبير فيها .

٦ - الحياة السياسية : وللنظام السياسي اثر كبير في الادب فالنظام الاستبدادي مثلاً ينتج الواناً من الادب يظهر فيها التملق والتفاق والاسراف في تمجيد اصحاب السلطان ومن ثم يزدهر المدح ويلجأ الادباء الاحرار الى الرمزية ليعبروا عما يجيش في نفوسهم من الخواطر ليتخلصوا من سيف الارهاب وفي ظلال الحرية تزدهر الخطابة وفي الثورات يزدهر الشعر الحماسي وهكذا .

٧ - اتصال الشعوب : واثار هذا الاتصال واضح لا ينكر فقد تأثر الادب العربي في العصور القديمة بالادب الهندي والفارسي . وتأثر ادبنا في هذا العصر بالادب الاوربي تأثراً لا مراء فيه .

٨ - التقليد والاحتذاء : والتقليد فطري في الانسان لا يستطيع بدونه ان يتكلم أو يتعلم وكل أديب يبدأ حياته الادبية مقلداً من سبقه من مشاهير الادباء ثم لا يلبث ان يتخلص من هذا التقليد الى ان تصبح له شخصيته الادبية المستقلة .

تاريخ الادب العربي

تاريخ الادب العربي علم يبحث في الاطوار التي مر بها الادب العربي شعراً أو نثراً على مر العصور ويبين ما اصاب الادب من رقي وازدهار أو انحطاط وانحدار في مختلف الحقب التي مرت بها امتنا العربية .

عصور الادب العربي

اعتاد مؤرخو الادب العربي ان يقسموا العصور التي مر بها ادبنا كما يلي :

١ - العصر الجاهلي : ويبدأ على الأرجح قبل ظهور الاسلام بقرن ونصف وينتهي ببزوغ فجر الاسلام .

٢ - عصر صدر الاسلام : ويبدأ بالبعثة المحمدية وينتهي بقيام الدولة الاموية سنة ٤٠ هـ

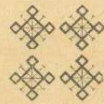
٣ - العصر الاموي : من سنة ٤٠ هـ - سنة ١٣٢ هـ وهو عام قيام الدولة العباسية

٤ - العصر العباسي : من سنة ١١١ هـ - ٢٢٥ هـ وهو عام استيلاء البويهيين على بغداد .

٥ - العصر العباسي الثاني : من ٢٢٥ هـ - ٦٥٦ هـ وهو العام الذي سقطت فيه بغداد في ايدي التتار ويشمل هذا العصر العصر الاندلسي .

٦ - عصر التدهور والانحلال : من ٦٥٦ هـ - ١٢٢٠ هـ وهو العام الذي اسس فيه محمد علي باشا دولته في مصر .

٧ - العصر الحديث أو عصر النهضة : من سنة ١٢٢٠ هـ ويستمر الى زماننا هذا . هذا وسنعني في هذا الكتاب بدراسة العصر الجاهلي والاسلامي والاموي والاندلسي أما بقية العصور فسندرسها فيما يقبل من الاعوام الدراسية ان شاء الله .



الفصل الثاني

العصر الجاهلي

لمحة عن حياة العرب :

انقسم العرب ، منذ أقدم العصور ، الى قسمين : عرب الشمال ، وعرب الجنوب . وقد اصطلح المؤرخون على تقسيمهم جيلين : العرب البائدة والعرب الباقية .

أما العرب البائدة ، فلم يبق لنا من أخبارهم الا ما ذكره القرآن الكريم ، والتوراه ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرههم ، وكانوا يقيمون في حضرموت واليامة ومدائن صالح .

أما العرب الباقية ، فعاربة ومستعربة . والعرب العاربة هم أهل اليمن وينتسبون الى « قحطان » . وقد أنشأوا دولة سبأ وحميز ودولة التباغة ، وكانوا متحضرين إذ شيدوا المدن وأقاموا السدود وبنوا القصور .

أما العرب المستعربة ، فهم أهل الشمال (عرب الحجاز ونجد والبحرين) وينتسبون الى (عدنان) وقد أنشأوا دولتي الانباط وتدمر .

والادب العربي الذي نؤرخ له ، هو من انتاج العرب الباقية . والارض التي قام عليها هذا الادب ، أرض صحراوية ، على الغالب ، طبعت ادبهم بطابعها ؛ كما اثرت على نواحي حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية والفنية .

ولذلك لا بد لنا من القاء الضوء على وجوه هذه الحياة ، حتى تتمكن من فهم الادب الجاهلي فهماً سليماً .

حياتهم الاجتماعية والسياسية

عاش عرب الجاهلية بدواً ، يتنقلون من مكان الى مكان ، طلباً للماء والمرعى فسكنوا الخيام ، وربوا الماشية ، فكان منها لباسهم وغذاؤهم . واعتمدوا على الجمال والخيول في ترحالهم وغزواتهم . وعرفوا الصيد وشرب اشراقهم الخمر ولعبوا الميسر .

وكان لاهل الرأي منهم مجتمعات خاصة للمذاكرة والمشاورة في حروبهم ، وللنقل في منازعاتهم ، وللمحالفات ، أو للسمر . كما كانت لهم مجتمعاتهم العامة كاللحج والاسواق .

وعلى كل حال ، فهم كبدو رحل ، لم يعرفوا الاستقرار . ومن مميزات الحياة البدوية انها بدائية : ولذا ساد النظام القبلي فيما بينهم . وكانت القبيلة الاساس الاجتماعي عندهم . ولكل قبيلة رئيس يهتم بقبيلته ، ويفصل في المنازعات بين افرادها . اما افراد القبيلة ، فتجتمعهم عصبية حادة . وغالباً ما يكون للقبيلة شاعر ينطق باسمها ويزهو بمفاخرها وانسابها ، ويدافع عنها ..

ولما كانت موارد الحياة قليلة محدودة ، كان لا بد ان تفشل القبائل فيما بينها على حيازة هذه الموارد . وبسبب من ذلك ، كانت تقوم الاحلاف بين بعض هذه القبائل ، وبعضها الآخر ، حتى يطمئن الحلف الى استمرار التمتع بهذه الموارد ، وحتى يكون بآمن من إغارة أو غزو قبيلة قوية ، أو حلف آخر .

وكانت المرأة تشارك الرجل في بعض أعماله اليومية . وكان الرجال يعتبرون المرأة . رمزاً لكرامتهم وشرفهم . ولكن كان يحصل أن يثد الجاهلي بناته خوف الفقر .

حياتهم الدينية :

عبدوا الاصنام يتقربون بها الى الله زلفى . ومن أشهر اصنامهم : اللات والعزى ومناة ويعوق وهبل . وكانت عبادة الأصنام أوسع أديانهم انتشاراً . كما عرفوا عبادة الكواكب ، والشمس ، والقمر . وعبد بعضهم الملائكة والنار « وهي في أصلها ديانة فارسية الاصل » وكانت منهم صابئة عبدوا الفلك ، ودهريون ينكرون الله : الطبيعة تحيي والدهر يفتي . وآمن بعضهم باليهودية أو النصرانية . وكان بينهم موحدون ، وهم قلة كقس بن ساعدة الايادي .

حياتهم العقلية :

توصل الجاهليون ، بخبرتهم وفطرتهم ، الى بعض العلوم والمعارف : عرف النجوم ومواقعها ، واستطاعوا التوصل الى معرفة زمان الخصب والمحل واولقات

الرياح والطر . وحذقوا علم البيطرة لكثرة ما كانوا يهتمون بالخيول . وشيئاً يسيراً من الطب الانساني . اهتموا بالانسان اهتماماً كبيراً ، بدافع من قبلتهم وألما ببعض الاخبار التاريخية لفقوها من بعض الأمم المجاورة .

ومن معارفهم القيافة « وهي الاهتداء بآثار الاقدام على اصحابها » والعيافة « وهي الاستدلال بأسماء الطيور وسقوطها وارتفاعها على ما يتفاعل به أو ما يتشاءم منه » والعرافة « وهي القضاء بالغيب » والكهانة « وهي التحكيم بما يخبؤه المستقبل » وارتبط هذان بدجل واضح .

كما عرف القليل منهم ، الخط العربي .

حياتهم الفنية :

عرفوا الغناء ، بسيطاً فطرياً ، ولعل غناءهم بدأ بالخداء الذي يمارسونه أثناء رحلاتهم ، ويقال بانهم عرفوا الرقص ، وتوصلوا الى صنع بعض الآلات الموسيقية البسيطة .

ولكنهم تفوقوا في الشعر ، والخطابة والمثل والحكمة والوصية .

الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي ، هو الامم الشرعي ، للشعر العربي ، في جميع عصوره . والشعر الجاهلي الذي نعرفه ، جاءنا ، ناضجاً ، ولم يستطع المؤرخون ان يتوصلوا الى الطريقة التي بدأ منها هذا الشعر ، وكيفية نموه وتطوره . ولكنهم يرجحون أنه بدأ بمناجاة الآلهة ، ثم حداء ، وغناء ، فأبيات ، فمقطعات ، فقصائد .. ؟

وعلى كل حال ، فانه ، كما وصلنا ، جاء رائعاً ، ومصوراً للبيئة الجاهلية أدق تصوير بحيث يصح القول فيه ، بأنه انضج شعر عربي قيل حتى الآن ، اذا قيس بقدرته على التعبير عن مرحلة تاريخية ، وعن بيئة . فلم يترك جانباً من الحياة الجاهلية إلا صورها وجسمها : فأنت من خلاله تكاد ترى الخيام

والجمال والرحلات والظعان . وأنت من خلاله يمر بك ذكر الصيد والسهام وشرب الخمر والميسر والمخاصمات والمخالفات والاسواق والمجمعات ، كما أنه ينبض بمعاني الشجاعة والصبر والمروءة والكرم والايثار .

وقد تميز الشعر الجاهلي بالبساطة والواقعية فجاءت أساليبه مبتكرة قوية والفاظه غريبة ومعانيه سطحية وأخيلته بسيطة .

ولقد ساعدت الحياة التي يحيونها ، والطبيعة المحيطة بهم ، واللغة التي يملكون زمام التعبير بها ، على ان يقولوا الشعر ويعبروا به عن تجاربهم وخبراتهم ومواقفهم . ولقد فاض على السمة الكثيرين منهم ، ولا غرو : فهم يعيشون بين سمانين صافيتين ، الصحراء الموحية ، والسهاء الصاحية .. وبين هاتين المرأتين نبضت قلوبهم ، وفاضت قرائنهم .

وقد ذكرت كتب الادب كثيراً من هؤلاء الشعراء ، مثل الافوه الاودي وعبيد بن الابرص ، وأوس بن حجر ، والمثقب العبدى ، واعش قيس الخنخ . ولكن اعظم شعرانهم . بلا نزاع هم اصحاب المعلقات

واما القصيدة الجاهلية ، فكانت غالباً ما تبدأ بالشيب ، او بذكر الاطلال ومناجاة الأحباب ، ثم وصف الناقة ، ثم الغرض الذي انشأت القصيدة من اجله .

اما الأغراض التي نظم فيها الجاهليون فهي : المدح ، الفخر ، الرثاء ، الهجاء ، الغزل ، الوصف ، الاعتذار ، العتاب .

نماذج من الشعر الجاهلي

قال الموقش الأكبر . بابتة عمه « اسماء » وقد مات بحبها :

اغالبك القلب اللجوج صباية	وشوقاً الى اسماء . أم أنت غالبه
واسماء هم النفس ان كنت عالماً	وبادي أحاديث القواد وغائبه
اذا ذكرت النفس ظلت كأنني	يزعزني قفقاف ورد وصاله

وقال عمر بن الخطاب ، يقتخر بقومه :

اني من القوم الذين اذا انتدوا
المانعين من الخس جاراتهم
والخالطين فقيرهم بغنيهم
وبادوا بحق الله ثم النائل
والحاشدين على طعام النازل
والبازلين عطاهم للسائل

وقال أوس بن حجر ، يرثي أحد بني أسد :

أيتها النفس أجملني جزعاً
ان الذي جمع السماحة والنجدة
أودي ، فما تنفع الاشاحه من
الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
لييكك الشرب والمدامة والفتيان طراً ، وطامع طمعاً

وقال النابغة الذبياني يمدح النعمان ، ويعتذر اليه ويستعطفه :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني
فبت كأن العائدات فرشن لي
حلفت ، فلم أترك لنفسك رية
ألم تر أن الله أعطاك سورة
فانك شمس والملوك كواكب
ولست بمستبق أخاً لا تلمه
فان أك مظلوماً ، فبعد ظلمته

وقال بشو بن أبي خازم الأسدي . يهجو أوس بن لأم الطائي :

وما أوس ، ولو سودتموه
أتوعدني بقومك يا بن سعدى
بمخشي العرام ، ولا أريب
وذلك من ملومات الخطوب !

وقال عمرو بن كلثوم ، يرثي
جورم على حلف بني الحارث بن كعب وعشيرة نهد وراثياً من قتل من اصحابه :

ليس الجمال بمثرر
ان الجمال معادن
اعدت للحد شان سا
وعلمت اني يوم ذاك
فاعلم وإن رديت برداً
ومناقب أورثن مجداً
بغاة وعداء علندي
منازل كعباً وتهداً

قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقاً وقد
نازلت كبشهمو ولم
كم من اخ لي صالح
ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكلي زندا
ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا

وقالت أم السلبك ترثي ولدها :

طاف يبغي نجوة
ليت شعري ضالة
أمريض لم تعد
والمنايا رصد
كل شيء قاتل
طال ما قد نلت في
ان أمراً فادحاً
ساعزي النفس اذ
ليت نفسي قدمت
من هلاك فهلك
أي شيء قتلك
أم عدو ختلك
للفتى حيث سلك
حين تلقى أجلك
غير كد أملك
عن جوابي شغلك
لم تجب من سألك
للمنايا بدلك

والبيت لا يبتنى إلا له عمد
فان تجمع أوتاد واعمدة
لا يصلح الناس فوضى لا سراهم
تهدى الامور باهل الراى ماصلحت
ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
وساكن بلغوا الامر الذي كادوا
ولا سراة اذا جهالهم سادوا
فان تولت فبالأشرار تنقاد

صالح الأئمة الأربعة (المعلقات)

أطول قصائد الشعر الجاهلي وأجودها . قال بعض المؤرخين على أنها سبع ، وآخرون ، على أنها عشر .. كذلك اختلفوا في تسميتها : فمن قائل بأنها سميت بالمعلقات لأنها كتبت بماء الذهب وعلقت في الكعبة ، ومن قائل بأنها علقت في الكعبة بدون تذهيب . وروى البعض أنها سميت بالمشهورات ، او المطولات ، او الحوليات ..
والذي يهنا هنا ، انها كانت اروع ما انتجته الشاعرية الجاهلية . وسنقوم بدراسة لاهمها .

امروء القيس :

هو ابو وهب (امروء القيس) بن حجر الكندي . نشأ مترفاً خليعاً . وكان ابوه ملكاً على كنده ؛ فطرده لسوء سيرته . وتعرض لبعض المحضنات في شعره فهام على وجهه مع حفنة من اخلاط العرب . يقضي وقته بالصيد والشراب والهوى .. وظل يعيش على هذه الحالة المتحللة من كل قيد حتى جاءه خبر مقتل ابيه .. فصدمه الخبر . فقام وقال قولته المشهورة : « ضيعني ابي صغيراً وحملني دمه كبيراً .. لا صحو اليوم ، ولا سكر غداً ؛ اليوم خمير وغداً امر » وفي صباح اليوم التالي للتبأ الحزن ، استأجر رجلاً ، وتوجه معهم الى بني اسد . قتله ابيه . لينأر منهم .

معلقته :

بدأها بقوله :

فما نبك ذكرى حبيب ومنزلة
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو المطاع الذي لم يسبقه اليه شاعر قبله .. والذي اقتدى به كل اصحاب المعلقات بعده ، ويكون امرؤ القيس بهذا ، اول شاعر عربى نعرفه ، بكى الديار والاطلال ..

صور في معلقته ، حياته ، وهوى ، وقصص مغامراته الغرامية ، حتى جاء دور « فاطمة » ابنة عمه وحبيته فقال

أفأطلم مهلاً بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمت صرمي فاجمل
وان تك قد ساءت لك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك ، تسلي
أغرك مني أن حبك قتالي وانك مهما تأمرى القلب يفعل ؟
ومضى يصف محاسنها ، وديبه اليها ليلاً .. وجرفه حديث الليل ، الى وصف طولها على المهومين :

وليل كموج البحر أرض سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل ، ألا انجل بصبح ، وما الاصبح منك بأمل

ثم تطرق الى حديث الصيد ، واسراب الطباء ، واصفاً فرسه وصفادقاً رائعاً :
وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
فعن لنا سرب ، كأن نعاجه عذارى دوار ، في ملاء مذيل
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً ، ولم ينضج بماء فيغسل
وقضى يومه ، مع اصحابه ، يصيد الغزلان ، حتى كان المساء : فزجر البوق وانذر بطر ، سرعان ما انهل غزيراً .. ولم يترك جذع نخلة الا قعرها . وامتلأت الوديان بالسيول .. ثم ختم معلقته مصوراً حالة طيور الوادي ، والسباع غب هذه السيول : بهذين البيتين الرائعين .

كأن مكابي الجواء غدية صبحن سلافاً من رحيق مغفل
كأن السباع فيه غرقى عشية بارجائه القصوى . أنايش عنصل

من قبيلة بكر . قال الشعر مبكراً ، ومات أبوه وهو بعد صغير : فظلمه أعمامه وأخاه (معبد) ولم يرضوا أن يقسموا لهما مال أبيهما . فسخط وتمرد . . وانكب على الخمرة يعاقرها ، وعاش حياته القصيرة (٢٦ عاماً) متقللاً . اتصل بملوك الحيرة مع خاله المتلمس الشاعر ، وقيل إن طرفة تغزل بأخت الملك عمرو بن هند فغضب عليه هذا ، ودبر له مكيدة ، بأن سلمه كتاباً محتوماً إلى عامله على البحرين ، وفي الكتاب أمر بقتله . فاما وصل إلى البحرين قتله عاملها .

معلقته :

بدأ معلقته بالوقوف على الدمن وتذكر أهلها الطاعنين :

لخولة اطلال ببرقة ثمـد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وانتقل إلى التشيب بفتاته :

ووجه كأن الشمس القتت رداءها عليه ، نقي اللون لم يتخذ
ثم وصف ناقته في أربعة وثلاثين بيتاً . لم يترك شيئاً من أوصافها ، إلا ذكره . وبعد ذلك أخذ يتحدث عن نفسه : عن نجدته وطيب أرومته . عن شبابه الذي يعطيه حقه عليه . عن عظيم صفاته ، فهو سيد في حلقة السادة ، ولاء في مجلس اللاهين . وعن قبيلته التي تحامته ، بسبب ذلك ، كأنه بعير أجرب :

فان تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تلتسنني في الحوانيت تصطد
وإن يلتق الحي الرفيع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المعمد
ندامي ييض كالنجوم ، وقينة تروح الينا بين برد ومجسد
وما زال تشرابي الخمر ولذتي ويعبي وانفاقي طريقي ومتلدي
إلى أن تحامتي العشيرة كلها وافردت أفراد البعير المعبد

ثم يأخذ يتحدث عن فلسفته في الحياة .. خمر ، ونجدة ، ونساء !

ألا أيهذا اللائمي احضر الوغى وإن أشهد للذات هل أنت مخلدي؟!

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى

فمنهن : سبقي العاذلات بشربة

وكري اذا نادى المضاف مجنباً

وتقصير يوم الدجن ، والدجن معجب

فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وجدك ، لم احفل متى قام عودي

كفيت ، متى ما تمل بالماء ، تزبد

كسيد الغضا ، نهته ، المتورد

بهيكة تحت الطراف المعمد !

ويتشي إلى ابن عمه (مالك) يعاتبه على لومه إياه ، في طلبه حمولة أخيه معبد وقد اغتصبها أعمامه ظلماً وعدواناً .

فمالي اراني وابن عمي مالكا متى ادن منه ينأ عني ويبعد
على غير دنب جثته ، غير انني نشدت فلم اغفل حمولة (معبد)
وظلم ذوي القربى ، أشد مضاضة على المرء ، من وقع الحسام المهند

ثم يختم معلقته بهذه الايات الحكيمة :

أرى الموت أعداد النفوس ، ولا أرى بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً ، ولم تضرب له ذات موعد

ولئن اعتبر المؤرخون ، امرأ القيس ، أول عملاق في دنيا القصيدة المجودة ، فاننا نعتبر طرفه اعظم فنان في هذا الميدان .

زهير ابن ابي ساس :

هو زهير بن ربيعة . من قبيلة مزينة . بدأ حياته راوية للشعر ، ثم شاعراً مجوداً ، عميقاً ، وانساني النزعة . نشأ في جو أدبي : فخاله ومريه بشامه بن الندير شاعر ، وزوج أمه أوس بن حجر كذلك . لم يعرف شبابه اللهو والعبث ، ويقال بأنه جاوز المئة عام .

وقف شعره على آل (حارثة المزي) وهرم بن سنان منهم بخاصه . ومعلقته التي ستحدث عنها ، قالها في (هرم) هذا ، وصاحبه الحارث بن عوف على تدراكهما قبليتي عبس وذبيان ، بالصلح بينهما ، في حرب داحس والغبراء ؛ وعلى تحملهما كثيراً من الديات في سبيل هذا الصلح .

بدأها ، ايضاً ، بالوقوف على العرض :

أمن ام اوفى دمنه لم تكلم بحومانة الدراج فالمثلثم ؟

ثم راح يمدح هرما والحارث ، ويسجل لهما ما قاما به من عظيم الأعمال :

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سجيل ومبرم

تداركتما عبساً وذيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول ، نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظيمين في عليا معد ، هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد ، يعظم

ومضى يسأل المحالفين ، الاخلاص للصلح ، ويحذرهم من عواقب الحرب الوخيمة :

الا أبلغ الاحلاف غني رسالة وذيان ، هل اقسستم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرحم

حتى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة وتضري اذا ضربتموها ، فتضرم

وأخيراً تفيض شاعريته الفذة ، بهذه الايات الخالدة : المستمدة من فطرة

صافية ، وروح سامية ، وبصيرة نافذة ، وقدرة خارقة على رؤية ما وراء المحسوس :

سُئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

واعلم علم اليوم ، والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد ، عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ، ومن تخطى ، يعمر فيهم

ومن هاب أسباب المنايا ، ينلته وان يرق اسباب السماء يسلم

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس ، يظلم

ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذماً عليه ويندم

ومن يغترب ، يحسب عدواً صديقه

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

وكائن ترى من صامت لك معجب

لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده

عنزة العبي

هو عنزة بن شداد بن قراد العبي وأمه زبيبة أمة حبشية نشأ عبداً يرعى الابل

لا يبه ولكنه اشتهر بالشجاعة التي كانت سبباً في تحرره من العبودية .

أحب ابنة عمه « عبله » ولكن عمه مالكا لم يوافق على زواجه منها وقد استغل

بعض المؤلفين (١) شخصيته المحبة الشجاعة فكتبوا له سيرة نسبوا اليه فيها فضائل مستحيلة

ومواقف خارقة .

معلقته :

بدأها بتذكر الديار وبهذا التساؤل الذي يدل على أن شعراء كثيرين قد سبقوه

فلم يتركوا موضوعاً الا طرقوه :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

ثم اخذ يخاطب ديار عبله فقال :

يا دار عبله بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبله واسلمي

دار لآنسة غضيض طرفها طوع العناق لذينة المتبسّم

ثم راح يصف بطولاته والوان شجاعته لها بقوله :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الواقعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم

(١) من هؤلاء المؤلفين يوسف بن اسماعيل الذي امره الخليفة الفاطمي العزيز بالله بوضعها ليلهي الناس عن الخوض في حديث يمس سمعته بسبب حادثة مريبة وقعت في قصره .

ثم يضي في الافتخار بفضائل قومه الى ان يختم معلقته بقوله

اذا بلغ الفطام لنا صغير
تخر له الجابر ساجدينا
الا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهليينا

أما المعلقان السادسة والسابعة فهما للبيد بن ربيعة والحارث بن حلزة الإشكري ومطلع معلقة لبيد .

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها
وهي أكثر المعلقات غرابة في الالفاظ وهي في الفخر بنفسه وقبيلته ومطلع معلقة الحارث .

أذنتا بينها اسماء
رب ثاو يمل منه اثواء
وقد نظمها صاحبها في الرد على معلقة عمرو بن كلثوم شاعر تغلب .

النثر الجاهلي

من التجوز ان نقول بانه كان للجاهليين نثر بالمعنى الفني ذلك ان اكثر ما نسب الى النثر من كلامهم كان اما خطبة او مثلاً او وصية خصوصاً وانه لم يكن في الجاهلية كتابة بالمعنى المعروف .

واذا أمعنا النظر في مادة ما نسميه « نثر الجاهلية » وجدناه اما جاء مرسلًا ارسلًا أو مسجوعاً هذا فيما يتعلق بالشكل .

أما مضمونه فقد كشف لنا جانباً هاماً من جوانب حياتهم ودل على مدى وعيهم للاحداث ومستوى تلقيهم لها ولون مواجهتهم للامور وطريقة احساسهم بها .
واذا كان شعراء الجاهلية قد صوروا لنا واقعهم وطرق معيشتهم فقد صور لنا ناثروها الجانب النفسي والعقلي منهم .

واليك نبذا عن اهم الوان النثر الجاهلي :

الخطابة :

كانت دواعي الخطابة كثيرة عند الجاهليين فهم قبائل كثيرة متشعبة ومتنافسة .

أو متحاربة وكان لا بد للقبيلة من رئيس « شيخ » يكون رمز ثقتهما وعنوان كرامتها . وقد كان لا بد من توفر المقدرة على القول وتملك زمام الكلام عند من يكون رئيساً للقبيلة فشأت الخطابة لازمة للرئيس وسليقة فيه . ولذا كانت منزلتها رفيعة لها في نفوسهم أسمى مكانة .

ثم ان الجاهليين كانوا على الغالب أميين وهذا سبب قوي لوجود الخطابة كوسيلة حياتية بينهم .

فمن خلال الخطابة كانوا يحرضون على القتال وشن الغارات والأخذ بالثأر وبث الحمية في النفوس والدعوة الى السلم والتفاخر بالانساب والتباهي بالاجداد في الاسواق الادبية « ١ » والمحاورة في الايام « ٢ » والمواسم والمجامع .

ومن خطبائهم المشهورين : قس بن ساعدة الايادي واكثم به صيفي وهاني بن قبيصة وهاشم بن عبد مناف .

نماذج من الخطابة الجاهلية

خطب هاشم بن عبد مناف قريشاً يحثها على اكرام زوار الكعبة قال :

« يا معشر قريش ، انتم جيران بيت الله اكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني اسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره فاكرموا ضيفه وزوار بيته فانهم ياتونكم شعثاً غبراً من كل بلد فورب هذه البنية (١) لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه . الا واني مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه . فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل . وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعوتهم الاطياً لم يؤخذ ظملاً ولم يقطع فيه رحم . ولم يغتصب »

« ١ » و « ٢ » الاسواق في الاصل اما كن كان يتبادل فيها الجاهليون البضائع وقد استغلوها لنشر آدابهم ، يلقي فيها الشاعر او الخطيب ليزيح بين القبائل ومن اشهرها سوق عكاظ وكان بين نخلة والطائف وسوق مجنة وهو على اميال من مكة وسوق ذي المجاز وكان يبنى خلف عرفة . اما الايام فهي الوقائع التي تنتصر فيها القبائل على بعضها البعض واشهرها يوم ذي قار انتصر فيه العرب على الفرس وحرب البسوس وفيها ايام مشهورة لتغلب على بكر وبكر على تغلب ويوم حليمة وهو للغساسنة على الناذرة .

٣ - الكعبة

وخطب قس بن ساعدة الناس في عكاظ قال :

« أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت
آت . ان في السماء لخبراً . وان في الارض لعبا سحائب تمور ونجوم تغور في فلك
يدور . ويقسم قس قسماً أن الله ديناً هو أرضى من دينكم هذا .

ما لي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالاقامة فأقاموا ، أم تركوا
هناك فناموا .

في الذاهبين الاولين ————— القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
أيقنت اني لاحا لة حيث صار القوم صائر

الوصايا

والوصية تشبه الخطبة ، إلا ان دائرتها اضيق فهي لا تعدو قوماً مخصوصين في مسألة
خاصة كأن تصدر من شيخ لقييلته ، أو أب لأبنة او امرأة لابنتها .

قال اكثم بن صيفي يوصي قومه بني تميم :

« يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ان بين حيزومي وصدري
لكلاماً لا أجد له مواقع إلا اسماعكم ولا مقار الا قلوبكم : الهوى يقطان . والعقل
نائم ، والشهوات مطلقة . والحزم معقول والنفس مهملة . والروية مقيدة . . . ولن يعدم المشاور سنداً
والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل ومن سمع سمع به ، ومصارع الرجال
تحت بروق الطمع .. الخ »

ومن وصايا الآباء للابناء قول بعضهم :

« يا بني : ان اباك قد في وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، واني
موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغت .. فاحفظ عني : ألن جانبك

لقومك مجبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك .. الخ »

الحكمة :

هي قول رائع موجز تتضمن حكماً مسلماً به في العصر الذي قيلت فيه
ولقد كان في الجاهليين عقلاء سامت فطرتهم ، ورجحت عقولهم ، وتفجرت بآبائهم
الحكمة على ألسنتهم كلاماً جميلاً موجزاً بليغاً .. ومن حكمائهم اكثم بن صيفي
وعامر بن الظرب العدواني .

ومن حكم اكثم : مقتل الرجل بين فكيه ، في طلب المائي يكون العناء ،
ويل للشجي من الخلي .

ومن حكم عامر : الرأي نائم والهوى يقظان ، رب أكلة منعت أكلات ،
رب زارع لنفسه حاصد سواه .

المثل :

المثل كالحكمة لولا انه لا بد للمثل من حادثة واقعية نقل عنها : فهو كلام
موجز قيل في حادثة معينة ثم ينتشر استعماله بين الناس فيقولونه عندما تعرض
لهم حادثة تشبه تلك التي قيل فيها المثل لأول مرة دون ان يحدث القائل اي
تغيير في الفاظه .

ومن أمثالهم .

كل فتاة بابيها معجبة من مأمته يؤتى الحذر . سبق السيف العذل .
مكره اخاك لا بطل . ان البغاث بارضنا يستسر . رب رمية من غير رام .
الخطأ زاد العجول . أنجز حرماً وعد . رب عجلة تهب ريثاً . كلم اللسان
انكى من كلم السنان . من سلك الجدد أمن العثار . قطعت جبهة قول كل
خطيب . لا في العير ولا في النفير .



الفصل الثالث

عمر صدر الاسلام

أثر الاسلام في حياة العرب الاجتماعية .

لما جاء الاسلام هذب طبائع العرب وغير عاداتهم ومحاماً كان فيهم من السوء
ودعا الى الاخاء والبقاء وعلمهم احترام العهود والمواثيق وحرّم عليهم الربا والخمر
والزنا والميسر والانصاب والازلام والتفاخر بالحسب والنسب وسوى بين الناس وجعل
التقوى والصلاح ميزاناً يعرف به قدر الانسان وبالاجمال فقد بدل حياتهم المضمحلة
واخلاقيهم المنحلة حياة شريفة طاهرة واخلاقاً سمحة مرضية وحارب العقائد الباطلة
ودعا الى التوحيد الخالص والتفكير المستقل وبعث فيهم حب المعرفة وجمعهم في ظل
دولة موحدة بعد ان كانوا قبائل متنافرة يضرب بعضها رقاب بعض وكان وسيلته الى
ذلك كله القرآن الكريم الذي انزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأسلوب
بهر العرب رونقه فخلب باليهام وكان المعجزة الكبرى للرسول .

وكتاب هذا شأنه لا بد وأن يؤثر في لغة العرب وآدابهم كما أثر في حياتهم.

أما اثره في اللغة فيتجلى فيما يلي :

١ - وحد لهجات العرب المختلفة لنزوله بلهجة قریش التي أصبحت لها بفضلها الغلبة والسيادة على سائر اللهجات الاخرى .

٢ - انتشرت اللغة العربية في البلاد المفتوحة وصارت هي اللغة الرسمية في بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا فأصبحت لغة الدين والسياسة والثقافة في هذه البلاد بعد أن كانت محصورة في شبه جزيرة العرب وما يجاورها من اطراف بلاد الشام والعراق.

٣ - كره بعض الالفاظ فالحاقها لعدم ملائمتها للحياة الجديدة فلم تلبث ان اندثرت ومن هذه الالفاظ عم صباحاً وعم مساء (١) فقد ابدلها بالسلام عليكم ومنها أبيت اللعن (٢) والرابع (٣) والصفايا (٤) والنشيطه (٥) والفضول (٦) .

«١» كلاهاتحية جاهلية. «٢» دعاء كان يوجهه الجاهلي الى اخيه ومعناه أيت أن تأتي شيئاً تلن بسببه
«٣» وهي ربع الغنمة يأخذها قائد الجيش بعد المعركة. [٤] ما يسطفه القائد لنفسه قبل قسمة الغنمة من
جارية جميلة أو فرس كريم أو سيف عقيل. «٥» ما يأخذه الجيش في الطريق قبل أن يصل الى قصده.
«٦» ما فضل من القسمة بما لا يمكن قسمته ويجمعها قول الشاعر:

لك المربع فينا والصفايا وحكمك والنشيط والفضول

٤ - أضاف الى اللغة الفاظاً جديدة أحبها كالصلاة والصيام والزكاة والوعظ
والسجود والمؤمن والكافر والمناقق والعدة والنقمة وغيرها .

٥ - حفظ اللغة من الانقراض ولولاه لعفا الزمن على العربية كما عفا على
كثير من اللغات .

٥ - حفظ اللغة من الانقراض ولولاه لعفا الزمن على العربية كما عفا على كثير من اللغات .

أثره في الادب : اما أثره في الادب فيتجلى فيما يلي :

١ - احتذى الشعراء والخطباء والكتاب حذو القرآن فمهدوا بهجه
واهتدوا بطريقته في الاسلوب ومن أمثلة ذلك قول حسان بن ثابت
شاعر الرسول .

عزیز علیہ أن یحیدوا عن الہدی
 حریص علی أن یتقیموا ویہتدوا
 فهو مأخوذ من قوله تعالى: «لقد جاءکم رسول من انفسکم عزیز علیہ ما
 عنتم حریص علیکم بالمؤمنین رؤوف رحیم»

٢- رفع القرآن من شأن النشر بعد ان كان المقام الاول للشعر في الجاهليه دون سائر القنون.

٣- احيا فنونا أدبيه جديده كالقصص وأدب الزهد وأدب التاريخ

٤- ابطال فنون ادبية اخرى كسجع الكهان والهجاء الفاحش والفضح الكاذب
وسواها من الاغراض القديمة المردولة

٥- عكف الرواة بسببه على جمع اللغة وآدابها ووضعت علوم النقد والبلاغة والنحو لمعرفة اعجازها.

٦- ظهرت الدقة والعمق والسهولة في أساليب الادب ومعانيه وبطل الفجر في
الاسلوب فصارعاً كريماً وغلب الایجاز على الموضوعات الادبية لعدم فراغ
المسلمين من اعباء الدعوة والفتوحات

طائفة مختارة من آبي الذكر الحكيم

قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به
عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم واتم لا تظلمون » .

« سورة الانفال آية ٦٠ »

وقال جل شأنه :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب »

« سورة الصف »

وقال تقدست آلاؤه .

« فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

« سورة الشورى آية ٣٦ - ٣٨ »

الحديث النبوي وأثره في اللغة والأدب

كانت بلاغة الرسول مضرب المثل وحديث الناس فكلامه ابلغ كلام بعد القرآن وكان صلوات الله عليه يعتز بذلك فيقول :

« أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في سعد بن بكر » وسفارة بين الخالق والمخلوق لا شك تعتمد على البيان الخلاب والمنطق الجذاب واسلوب هذا شأنه وهذه اهميته لا بد وأن يترك آثاراً ظاهرة في اللغة والأدب .

أما آثاره في اللغة فتجلى فيما يلي :

- ١ - ادخل الفاظاً جديدة الى اللغة كلفظة الزمارة للزانية ومحرم لصفر الاول .
- ٢ - ساعد على توحيد لهجات اللغة العربية فهو متمم للقرآن في هذا السبيل .

أما أثره في الأدب فيمكننا ايجازه فيما يلي :

- ١ - ساعد الحديث الشريف على تهذيب الالسنه والقضاء على الاساليب الوحشية الغريبة المعقدة .
- ٢ - اصبح مورداً عذبا للمثقفين على مر العصور لانه محور لعلوم دينية وعربية كثيرة وقد اكسب هذا اللغة العربية ثروة كبيرة .

طائفة من الاحاديث النبوية المختارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- ١ - ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب .
- ٢ - ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .
- ٣ - اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .
- ٤ - ان قوماً ركبوا في سفينة فاقتسموا فصار لكل منهم موضع فقفر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له (ما تصنع ؟) . قال (هو مكاني اصنع فيه ما شئت) فان أخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا .
- ٥ - الناس كلهم سواسية كأسنان المشط .
- ٦ - من يحرم الرفق يحرم الخير كله
- ٧ - لا تزال امتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرماً .

النثر في عصر صدر الاسلام

انتزع النثر صولجان زعامة الادب من الشعر في هذا العصر فحمل اعباء الفكرة الاسلامية ونهض غالباً بالدعوة الجديدة بين مزايها ويجادل الناس بالتي هي احسن ، وبهذا عظمت رسالته فكان لسان الخلفاء والامراء والولاة . ولما كان النثر الفني يتخذ مظهر الخطابة احياناً ومظهر الرسائل احياناً اخرى فقد أثرنا ان نتحدث عن كل منهما بالتفصيل .

الخطابة الاسلامية :

كانت الخطابة الجاهلية ضيقة الحدود فلما جاء الاسلام ارتفع شأنها فكانت اداة الدعوة الاولى ولسانها الناطق الفصيح اما الاسباب التي هيأت لها هذه القوة فهي ما يلي :

- ١ - الحرية التي اباحها الاسلام للجميع فلم يكن احد يسكت عما يظن انه حق له فيخطب في ذلك ويتحدث ويجادل .
- ٢ - الدعوة الى الجهاد في سبيل الله وما تستلزمه من تحميس الناس وتحريضهم عليه .
- ٣ - تأصل ملكة الخطابة في نفوس العرب فهم بطبيعتهم أهل فصاحة وامة بيان

تتلخص الموضوعات التي طرقها خطباء صدر الاسلام فيما يلي :

- ١ - دعوة الناس الى الاسلام وتعاليمه .
- ٢ - الحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .
- ٣ - خطبة الجمعة والعيدان التي يتولى فيها الخطباء شرح آداب الدين وفضائله وما يهم الناس من امور حياتهم .
- ٤ - الدفاع عن الآراء السياسية وغير ذلك مما استلزمته الخلافة ونظامها الجديد .

مميزاتها :

- تتخصر مميزات الخطابة الاسلامية فيما يأتي :
- ١ - شدة التأثير في النفوس وكثرة الاستشهاد بالآيات والشعر والاحاديث النبوية والحكم والامثال
 - ٢ - كانت تبدأ بحمد الله وتوحيده والصلاة والسلام على رسوله واتباعه احياناً .
 - ٣ - وضوح اللفظ وسهولة الاسلوب وترك السجع ، والايجاز فيما يستدعي الايجاز والاطناب في موضع الاطناب .

أشهر الخطباء :

الرسول العظيم محمد بن عبدالله والخلفاء الراشدون وعبد الله بن الزبير وابو عبيده عامر بن الجراح وعائشة بنت ابي بكر وسواهم .

نماذج من الخطابة الاسلامية

لما أنزل الله على رسوله « وأنذر عشيرتك الاقربين » جمع أهله وعشيرته وخطبهم بقوله : « ان الرائد لا يكذب اهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا إله الا هو اني رسول الله اليكم حقاً والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالاحسان إحساناً وبالشر شراً ، وإنها للجنة أبدأ أو النار أبدأ ، إنكم لأول من انذر بين يدي عذاب شديد » .

وعندما اختار المسلمون عمر بن الخطاب خليفة لهم خطبهم بقوله : « أيها الناس اني داع فأمّنوا : اللهم اني غليظ فليني لأهل الطاعة بموافقة الحق

ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظ والشدة علي أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ، ولا رياء ، ولا سمعة ، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة . اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين . اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فالهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين . اللهم اني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها » .

الكتابة في صدر الاسلام

كان العربي في الجاهلية امياً لا يقرأ ولا يكتب وفي صدر الاسلام اخذت الكتابة تنتشر بتشجيع الرسول وخلفائه للحاجة اليها في تصريف شئون الدولة ولما اتسعت الدولة وأنشأ عمر بن الخطاب الدواوين كثرت العناية بالكتابة ومع ذلك ظلت بسيطة في مظهرها بليغة في جوهرها يغلب عليها الطبع وترك التكلف وتغلب عليها السهولة والايجاز . واليك نموذجاً من هذه الكتابة :

لما ادعى مسيلمة النبوة كتب الى رسول الله ما يلي : « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك أما بعد : فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون » فرد عليه الرسول بما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب . السلام على من اتبع الهدى أما بعد . فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

الشعر في صدر الاسلام

كان للشعر في نفوس الجاهليين مكانة لا تدانيها مكانة فهو ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم فلما جاء الاسلام وأمات فيهم روح العصبية وأخمد في نفوسهم حمية الجاهلية كان ذلك داعياً الى ضعف الشعر في هذا العصر لان اداة الشعراء وهي الفجر في الكلام قد تعطلت فابتعد الشعراء عن كل معنى مناف للتعاليم الاسلامية ومن ظل منهم على جاهليته الشعرية لم يسلم من العقاب كما حدث مع

الخطيئة الذي حبسه عمر عندما أفحش في هجو الزبير بن بدر وهدده بقطع لسانه .
أغراض الشعر : هجر الشعراء الأغراض التي تتنافى والدين كالغزل
 الفاحش والفخر الكاذب والهجاء المقذع واقتصروا في نظمهم للشعر على
 الأغراض الآتية :

- ١ - الدعوة الى الاسلام ومناضلة خصومه .
 - ٢ - هجاء اعداء الدعوة في عصر النبوة وأصحاب الديانات الزائفة بعد ذلك العصر .
 - ٣ - رثاء من استشهدوا في غزوات الرسول والفتوحات الجديدة .
 - ٤ - الفخر والتباهي بالانتصار على جيوش الفرس والروم .
 - ٥ - وصف المعارك والحصون وآلات القتال التي لم يكونوا عرفوها والحيوانات والجمال ومظاهر الطبيعة الاخرى في البلاد المفتوحة .
 - ٦ - الحكمة وقد كثرت بتأثير القرآن والتجارب الكثيرة التي أفادوها في الحياة .
 - ٧ - مدح الرسول والخلفاء والصحابة وزعماء القبائل .
 - ٨ - الوعظ والترهيد في الدنيا والدعوة الى تقوى الله .
- معانيه : غلب على معاني الشعر العمق والاستقصاء والوضوح والبساطة
الفاظه : هجر الشعراء اللفظ الحوشي والمبتذل واكثروا من الاقتباس
 من القرآن .
أخيلته : كانت أخيلة الشعر في هذا العصر بسيطة قريبة غير مخلقة .

أشهر الشعراء : حسان بن ثابت شاعر الرسول وكعب بن زهير
 والخنساء والعباس بن مرداس والخطيئة وأبو ذؤيب الهذلي . وهم من
 المخضرمين الذين حضروا الجاهلية الاسلام . وحنظلة بن العلى وعلي بن أبي طالب
 واليك تعريفاً ببعضهم .
الخنساء : هي قاض بنت عمرو بن الشديد والخنساء لقبها شاعرة مخضومة
 مجيدة ولدت حوالي ٥٧٥ م وترعرعت في بيت شعر وشرف تزوجت مرتين
 أو ثلاثاً وكانت تحكم بين الشعراء في عكاظ . فجعلتها المنون بأخوها معاوية
 وصخر فأكثر من بكائها شعراً أسلمت في السنة الثامنة للهجرة . اشترك أولادها

الاربعة في معركة القادسية واستشهدوا فيها فلما بلغها النبأ قالت « الحمد لله الذي
 شرقي بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .
 ثم وافاها الأجل في خلافة معاوية بعد أن كف بصرها .
العباس بن مرداس : هو ابن الخنساء من آخر أزواجها مرداس السامي
 كان شاعراً مخضرمًا وفارساً شجاعاً وفد على الرسول واسلم وكان من المؤلفة
 قلوبهم ثم حسن اسلامه في النهاية .

نماذج من الشعر الاسلامي

قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً

أعيني جوداً ولا تجمداً	ألا تبكيان لصخر النداء
ألا تبكيان الجريء الجميل	ألا تبكيان الفتى السيدا
رفيع العماد طويل النجاد	ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهمو	الى المجد مد اليها يدا
فقال الذي فوق أيديهمو	من المجد ثم مضى مصعدا
ويحمل للقوم ما عالهم	وان كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف الى بيته	يرى أفضل الكسب أن يحمدا
وان ذكر المجد ألفيته	تأزر بالمجد ثم ارتدى
غياث العشيرة إن أحلوا	يهين التلاد ويحيي الجدا

وقالت تصف سباقاً جرى بين أبيها وأخيها

جارى أباه فاقبلا وهما	يتعاوران ملاءة الفخر
حتى إذا بدت القلوب وقد	ساوى هناك القدر بالقدر
وعلا هتاف الناس أيهما ؟	قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صحيفة وجه والده	ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى ان يساويه	لولا جلال السن والكبر
وهما وقد برزا كأنهما	صقران قد حطا على وكر

وقال العباس بن مرداس يعيب على المجتمع احترامه لكبار الاجسام
واحترامه لذوي الاجسام النحيفة .

ترى الرجل النحيل فتزدرجه
ويعجبك الطير فتبتليه
فما عظم الرجال لهم بفخر
بغات الطير أكثرها فراخاً
ضعاف الطير أطولها جسوماً
لقد عظم البعير بغير لب
يصرفه الصبي بكل وجه
وتضربه الوليدة بالهرأوي

وقال حطان بن المعلى يشكو فقره :

انزلني الدهر على حكمه
وغالني الدهر بوفر الغنى
أبكاني الدهر ويا ربما
لولا بنيات كزغب القطا
لكان لي مضطرب واسع
وانما أولادنا يئتنا
لو هبت الريح علي بعضهم

وقال حسان بن ثابت يقتخر بانتصار المسلمين في موقعة بدر .

عرفت ديار زينب بالكثيب
تداولها الرياح وكل جون
فأسمى رسمها خلقاً وأمست
فدع عنك التذكر كل يوم

وخبر بالذي لا عيب فيه
بما صنع المليك غداة بدر
غداة كأن جمعهم حراء
فلاقيناهم منا بجمع
فغادرنا أبا جهل صريعاً
وعقبه قد تركنا بالجوب

وقالت قبيلة بنت الحارث تعاتب الرسول على أمره بقتل أخيهما النضر الذي
أسر في بدر وقد قتله علي بن أبي طالب .

هل يسمعن النضر ان نأديته ؟
أحمد ها أنت ضئء بخية
ما كان ضرك لو منت وربما
فالنضر أقرب من قتلت قرابة
لو كنت قابل فدية لفديته
ان كان يسمع ميت لا ينطق
في قومها والفحل فحل معرق
من الفتى وهو المغيظ المحنق
واحقهم إن كان عتق يعتق
بأعز ما يغلي به من ينفق
ويروى أن الرسول رقى لها ودمعت عيناه وقال « لو كنت سمعت شعرها
ما قتلتها » .



الفصل الرابع العصر الأموي

تكاثرت الاحداث على الامة الاسلاميه بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان واستمر النزاع بين علي ومعاوية الى ان استتب الأمر للثاني في النهاية ونتيجة لذلك النزاع الطويل انقسم المسلمون الى شيعة واحزاب مختلفة اهمها :

١ - جماعة الامويين : وهم الذين ناصروا معاوية وأيدوه وكانوا منبئين في بلاد الشام ومصر .

٢ - شيعة علي بن ابي طالب : وهم الذين احبوه وناضلوا عن حقه وكان اكثرهم في العراق وقليل منهم في مصر .

٣ - الخوارج : وهم الذين خرجوا على علي وكفروه حين قبل التحكيم وكانوا يرون ان الخلافة حق لكل مسلم ما دامت فيه كفاية للحكم وكان فيهم عصبية طاغية لما يعتقدون .

٤ - جماعة الزبيريين : وهم جماعة عبد الله بن الزبير وكانوا في الحجاز .

الخطابة في العصر الأموي

اسباب نهضتها

بالاضافة الى ما فطر عليه العرب من قوة الملكات ساعدت العوامل الآتية على ازدهار الخطابة .

١ - انقسام الامة الى احزاب تتقارع بالكلام وتتراسق بالتهم .

٢ - الحرية التي اتاحت للجميع كان لها اثرها البالغ في نهوض الخطابة وتطورها

٣ - قوة العقيدة التي تجعل صاحبها يبهر برأيه ويستमित في سبيل اعلان فكرته .

٤ - تعهد الناس لابنائهم وتربيتهم على بلاغة الكلام ومواقف الخطابة .

موضوعاتها :

استعملت في الدعاية السياسية عند الاحزاب وفي الجدل الديني عند الخوارج

والشيعة وفي المناقضات والمفاخرات والمحاورات والوعد والوعيد والانذار هذا الى جانب اغراضها القديمة من وصية ونصيحة وتحريض على القتال وتهنئة بنصر كما ظلت مظهراً دينياً يتجلى في الجمعة والعيد ومواسم الحج .

خصائصها

سادت الخطابة في هذا العصر نزعتان .

١ - النزعة السياسية : وخطباء هذا اللون من الحكام ويغلب عليها التحرر من الرسوم الدينية ويكثر فيها الاستشهاد بالشعر ويقل الاقتباس من القرآن والحديث ويغلب عليها فخامة اللفظ والعنف والمبالغة في التهديد والاسراف في السب والشتم .

٢ - النزعة الدينية : وخطباء هذا اللون من الجماعات المناوئة للخلفاء وتتميز خطابة هؤلاء بالترحم الحمد في اولها والصلاة على النبي وكثرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والاقتباس منها ويشيع فيها التحذير من الدنيا وغرورها والتخويف من الآخرة وأهوالها . وهذه الخطب في الواقع سياسية تهدف الى تغيير الاوضاع وهي تشعج ببرودة الدين للتأثير في النفوس .

اشهر الخطباء : من الامويين معاوية وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز ومن ولاتهم الحجاج بن يوسف الثقفي وزباد بن أبيه .

ومن العلويين : الحسين بن علي وحفيده زيد .

ومن الخوارج : قطري بن الفجاء وعمران بن حطان .

ومن الزبيريين : عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب .

ومن رؤساء القبائل : سحبان بن وائل .

نماذج من الخطابة الأموية

قال الحجاج من خطبة له حين ولي العراق .

أنا ابن جلا وطلاع الشيا متي اضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة ، اني لأرى رءوساً قد اينعت وحان قطافها واني لصاحبها

وكأني أنظر الى الدماء بين العائم واللحي .

اني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين .

ولقد قررت عن ذكاء وفشت عن تجربته وان أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
 ثور كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً
 فرماكم بي لانكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعت في مراقد الضلال
 والله لا حزنكم حزم السله ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل . فانكم لكاهل
 قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله
 فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . واني والله لا أقول الا
 وفيت ولا أهم إلا مضيت / وخطب فطرى بن النجاة صعبه فقال بعد ان
 حمد الله وأثنى عليه :

أما بعد فإني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات وراقت
 بالقليل ونجبت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم
 حبرتها ولا تؤمن فجعتها ، غراره ضراره ، خوانة غداره ، وحائلة زائله ،
 وناقذة بائدة ، أكالة غواله لا تعدو اذا هي تناهت الى امنية أهل
 الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كماء أنزلناه من السماء
 فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيأ تذرة الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرأ .

الكتابة في العصر الاموي

زادت العناية بالكتابة في هذا العصر لا تساع اعمال الخلفاء وتعدد
 الدواوين فقد زاد معاوية علي ما كان منها في أيام الخلفاء الراشدين ديوان
 الخاتم ومهمته ان يرسل اليه ما يكون للخليفة من توقيع ليصدر عنه
 مختوماً لا يدري حامله ما فيه ولا يستطيع أن يغيره .

وكان الخليفة هو الذي يعلى الرسائل بنفسه على الكتاب حتى عهد
 هشام بن عبد الملك الذي كان كثيراً ما يتيب كاتبه سالماً في كتابة
 كثير من الرسائل .

أطوار الكتابة : مرت الكتابة في هذا العصر بطورين :

الاول : ويبدأ من قيام الدولة سنة ٤١ هـ ويستمر حتى زمن الوليد الى
 بن عبد الملك وكانت الكتابة في هذا الطور لا تختلف عنها في عصر صدر الاسلام
الثاني : من أيام الوليد الى آخر الدولة سنة ١٣٢ هـ وقد أخذت الكتابة في
 هذا الطور تتدرج في التأني والصنعة والاطناب حتى صارت صناعة فنية لها

اصولها وقواعدها وكان زمامها بأيدي الموالي المثقفين بثقافة عربية واسعة بالإضافة
 الى ثقافة امهم التي ينتمون اليها ومن هؤلاء ابو العلاء سالم مولى هشام بن
 عبد الملك وكاتبه ، وعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد وكانا
 يعرفان الفارسية بالإضافة الى العربية .

وقد استطاع عبد الحميد أن يوجز في غير اخلال ويطيل في غير املال كما
 أنه أكثر من الرسائل الاخوانية وأطال في الفواتح والخواتم بما يعد جديداً في
 هذا العصر ومن كتابة عبد الحميد التي يظهر فيها الايجاز ما كتبه لعامل اهدى
 مروان بن محمد عبداً اسود .

قال : « لو وجدت لونا شراً من السواد وعدداً أقل من الواحد لأهديته »
 ومن امثلة اطنابه رسالته التي بعث بها الى اهله وهو منهزم مع مروان قال :
 اما بعد فان الله - تعالى - جعل الدنيا محفوفة بالمكاره والسرور فمن ساعده
 الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكها مستريداً
 اليها وقد كانت اذاقتنا افويق (١) استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمتنا
 موليه فملح عذبا وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان
 فالدار نازحة والطير بارحة (٢) وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً واليكم
 وجداً ، فإن تم البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وإن يلحقنا
 ظفر جارح [٣] من اظفار من يليكم [٤] نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار
 نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم الفة جامعة في
 دار آمنة (٥) تجمع سلامة الابدان والاديات ، فانهرب العالمين وارحم الراحمين
التوقيعات : التوقيع هو الكتابة على حواشي الرسائل التي ترفع الى ذوي
 الشأن بما يفيد العلم بها وإبداء الرأي فيها . وتمتاز بالايجاز ، وقد يكون التوقيع آية
 مقتبسه أو حديثاً مروياً أو مثلاً سائراً أو حكمة صائبة أو بيتاً من الشعر . وقد بدأ
 ظهور التواقيع أيام عمر بن الخطاب الا انها كثرت واصبحت فنا في هذا العصر ومن امثلة

(١) جمع للجمع [افواق] ومفرده فقة وهو ما يجتمع في الضرع من اللبن بين الحلبتين .

(٢) برح الطير بروحاً مر عن يمينك وبعض العرب يعتبر ذلك دليل شؤم

[٣] كناية عن العدو القوي وهو جيش العباسيين

(٤) أي يحكمكم وهم العباسيون .

[٥] وهي الدار الآخرة .

ذلك ما وقع عمر بن عبد العزيز على كتاب عامل له يستاذنة في تجديد بناء مدينة :
« ابنها بالعدل وتق طرقها من الظلم . ووقع سليمان بن عبد الملك على كتاب لقتيبة
بن مسلم حين كتب إليه يتهديده بالخلع .

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا
أبشر بطول سلامة يا مربعا

الشعر في العصر الاموي

أثر سياسة الخلفاء الامويين في تقوية الشعر : عمد خلفاء بني أمية الى الشعراء
فقر بؤهم وأثاروا شاعريتهم بما أغدقوا عليهم من هبات وكانوا يغرونهم ببعض
ويدفعونهم الى التهاجي واثاره العصبية وذكر الخصومات الجاهلية التي أماتها
الاسلام وذلك ليشغلوا الناس بمهاتراتهم عن موائبهم على الملك والشعب عليهم .
وكان الخلفاء عرباً يطربهم الشعر الجيد وكانوا نقدة كلام وامراء بلاغة مما حدا
بالشعراء الى تجويد ما يقولون . هذه السياسة وانقسام الامة الى احزاب متشاحنة جعل
الشعر في منزله خير من تلك التي كان عليها في عصر صدر الاسلام .

١ - اغراض الشعر الاموي : طرق الشعراء الاغراض التي تناولها الشعراء
من قبل كالمديح والفخر والثناء والهجاء والغزل والوصف ونحو ذلك من الأغراض
العامة التي يتداولها الشعراء في كل عصر . بيد أنه استحدثت في هذا العصر اغراض لم
تكن موجودة كالشعر السياسي والشعبي والغزل العذري واليك نبأ هذه الاغراض
الجديدة مفصلاً .

الشعر السياسي : وهو صدى لخصومات الاحزاب السياسية اذ كان لكل حزب
شاعر أو أكثر ينافح عن دعوته ويأوي خصومه ومن أشهر شعراء الامويين الاخطل
وجريز ومن شعراء الشيعة كثير عزة والكميت الاسدي ومن شعراء الزبيريين عبدالله
بن قيس الرقيات ومن شعراء الخوارج عمران بن حطان وقطري بن الفجاءة .
وهاك مثالا لهذا اللون من الشعر

قال عبدالله بن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير ويقتخر بقريش
ويتعصب لها :

حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق امورها الا هواء
قبل ان تطمح القبائل في ملك قريش وتشمت الاعداء
أيها المشتهى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء

إن تودع من البلاد قريش لا يكن بعدهم لحى بقاء
نحن من النبي الامي والصديق منا التقى والخلفاء
وعلي وجعفر ذو الجناحيين هناك الوصي والشهداء
والزبير الذي اجاب رسول الله في الكرب والبلاء بلاء
والذي تغص ابن دومة ما توحى الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتاً وفي الضراب غلاء
غيبوا عن مواطن مفضعات ليس فيها الا السيوف رخاء
شعر الشعوية : وسبب نشوئه احتقار الامويين لكل ما هو اعجمي بما أدى

الى ظهور شعراء من الموالي ينقمون على العرب ويتعصبون لامهم ومن هؤلاء اسماعيل
بن يسار واخوه محمد وابراهيم

واليك نموذجاً من هذا الشعر لاسماعيل بن يسار قال يتعصب للفرس على العرب
رب خال متوج لي وعم ماجد مجتدي كريم النصاب
انما سمي الفوارس بالفرس مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
إذ نربي بناتنا وتندسون سفاهاً بناتكم في التراب

الغزل : تنوعت انواع الغزل في هذا العصر وتشعبت فنونه فاصبح
مستقلاً لا يشرکه غرض آخر في القصيدة الغزلية وظهر شعراء وقفوا حياتهم
وفنهم على هذا اللون من الشعر لا يطرقون باباً سواه . وينقسم الغزل الاموي
الى ثلاثة أنواع .

١ - الغزل التقليدي : وهو هذا النوع من الغزل الذي يفتتح به الشاعر

قصيدته في وصف المرأة أو الحنين اليها او ما يكون له معها من وصل وصد او حديث
وان لم تملك قلبه عاطفة الحب الصادق او تضنيه صباة العشق الصحيح . ثم لا يلبث
الشاعر أن يتركه الى ما يقصده من اغراض اخرى يهدف اليها في قصيدته وهذا
النوع ليس جديداً وانما هو تقليد للقدماء من شعراء الجاهلية ومعظمه مصطنع لا أثر

فيه لعاطفة او شعور صادق ومن شعراء هذا اللون جرير والفرزدق والاخلط .

٢ - الغزل العابت : انغمس فريق من شعراء هذا العصر في اللهو والمجون فراحوا يتتبعون الحسن في كل واد لا يحول بينهم وبين ذلك دين او خوف من سلطان ثم أخذوا يقصون في شعرهم ما كلن بينهم وبين اولئك النسوة في قصائد رائعة تزخر بالذات وتثير الفتنة وتوقظ الشهوة .

وقد شاع هذا اللون في الحجاز لان الامويين ارادوا ان يلهو شباب الهاشميين عن منازعتهم فمنعوهم من مغادرة الحجاز واغدقوا عليهم من الاموال ما يسر لهم سبيل اللهو والعيش فانصرفوا الى مجالس الغناء وتبغ النساء .

والشاعر الاباحي من هذا النوع لا يتعلق بامرأة واحدة وانما ينتقل من امرأة الى اخرى كما تنتقل النحلة من زهرة الى زهرة . وزعيم هذه الطائفة دون مدافع عمر بن ابي ربيعة قال من قصيدة له :

هيج القلب مغان وصير

ورياح الصيف قد ازرت بها

ظلت فيها ذات يوم واقفاً

لتي قالت لا تراب لها

إذ تمشين بجو موق

بدماء سهلة زينها

قد خلونا فتمنين بنا

فعرفن الشوق في مقتلها

قلن يسترضينها منيتنا

بينما يذكرني ابصرني

قالت الكبرى : أتعرفن الفتى ؟

قالت الصغرى وقد تيمتها :

الغزل العذري : وهو ما يصدر عن عاطفة صادقة وحب عميق يملك علي

المرء جميع مشاعرة فيصرفه عن الحياة وشهواتها فيقف نفسه وفنسه على التعبير عن عاطفته نحو المرأة التي يحبها ولا يرى في الحياة أجمل منها وان لم تكن من أجمل

النساء وأهم مميزات هذا اللون الصدق في العاطفة والعفة في القول والتفاني في المحبوب فهو يعتمد على المعاني الروحية ولا يتناول مفاتن الجسم ومحاسن الاعضاء . يشكو فيه الشاعر ما يكابد من ألم الفراق وقسوة الحرمان وتجهم الزمان وقد يقنع بالنظرة العجلى والوعد المكذوب كما يقول جميل بثينة :

وإني لأرضى من بثينة بالذي

بلا وبألا أستطيع وبالمنى

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي

وأخسر لا نلتقي وأوائله

وسمي هذا اللون بالعذري نسبة الى بني عذرة وهي بطن من قضاة اشهر شبابها

بالحب البريء الصادق . وهذا اللون جديد كل الجدة لم يكن له وجود قبل هذا العصر

من اشهر شعرائه قيس بن الملوخ صاحبة ليلي العامرية وقيس بن ذريح صاحب لبنى

وجميل بن معمر صاحب بثينة وكثير عزه على المشهور .

وماك غودجاً من هذا اللون لكثير عزه . قال :

وما كنت ادري قبل عزة ما البكا

فقلت لها يا عز كل مصيبة

ولم يلق انسان من الحب ميعه

يكلفها الغيران شتمي وما بها

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

اسيئ بنا أو أحسن لا ملومة

فلا يحسب الواشون ان صبابتي

فوالله ثم الله ما حل قبلها

وهناك اغراض اخرى قال فيها الشعراء فاكثروا وأجادوا وهاك غاذج منها

قال الصمة بن عبدالله يحن الى ابنة عمه ريا وديارها في نجد بعد هجرته

الى الشام :

حننت الى ريا ونفسك باعدت

فما حسن ان تأتي الامر طائعا

ففا ودعا نجداً ومن حل بالحمى
بنفسي تلك الارض ما طيب الربا
وليس عشيات الحمى برواجع
ولما رأيت البشر^(١) أعرض دوننا
تلفت نحو الحي حتى وجدتي
واذكر أيام الحمى ثم أنثني

وقال جرير^(٢) بن عطية الخطفي يرثي زوجته خالدة بنت سعد :

لولا الحياء لها جني استعبار
ولهت قلبي اذ علتني كبرة
ولقد اراك كسيت اجمل منظر
والريح طيبة اذا استقبلتها
واذا سریت رأيت نارك نورت
صلى الملائكة الذين تخيروا
لا تكثرن اذا جعلت تلومني
كان الخليلطهم الخليلط^(٥) فاصبحوا
لا يلبث القراء ان يتفرقوا

(١) البشر : جبل في نجد

(٢) «اليت : صفحة العنق . والاحدع عرق في الرقة

(٣) هو ابو حزره جرير بن عطية الخطفي التميمي أحد فحول الامويين ولد في اليمامة في خلافة عثمان في اسرة فقيرة وضيعه كان هجاءً فاحشاً هجاء ثمانون شاعراً فتغلب عليهم ولم يصمد له منهم الا الفرزدق والاخلط . مدح الحجاج وعبد الملك ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ

(٤) «خوار : ضعيف .

(٥) «الخليط : الزوج

وقال الفرزدق^(١) يصف دنبا سارده في طعامه :

وما أحسن المصطاف والمتربر وأطلس عسال^(٢) وما كان صاحباً
فلما دنا قلت : ادن دونك اني
فبت أقد الزاد بيني وبينه
فقلت له لما تكشر ضاحكاً
تعث فان عاهدتني لا تخونني
وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
ولو غيرنا نبهت تلمتس القرى

ولزرت قبرك والحبيب يزار
وذوو التمام من بنيك صغار
ومع الجمال سكينه ووقار
والعرض لا دنس ولا خوار^(٤)
وجهاً أغر يزينه الاسفار
والصالحون عليك والابرار
لا يذهبن بحملك الاكثار
متبـ دلين وبالديار ديار
ليل يكر عليهم ونهار

دعوت بناري موهناً فأتاني
وإياك في زادي لمشتركان
على ضوء نار مرة ودخان
وقائم سيفي من يدي بمكان
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
أخين كانا أرضعا بلبان
رماك بسهم أو شبة سنان
تعاطى القنا قوماهما اخوان



(١) «الفرزدق : هو ابو فراس همام بن غالب التميمي أكثر شعراء الامويين اجادة في الفخر نشأ في بادية البصرة في بيت من اكرم بيوت تميم وكان يتشبع لال البيت وناصر عبدالله بن الزبير . لم يوفق في حياته الزوجية وكان قصيراً ضخماً أجدر الوجه فاسقاً خلع العذار . ولكنه نسك في آخر حياته وتوفي عام ١١٠ هـ

(٢) «الاطلس : الاعبر اللون ، والعسال : المضطرب في مشيته .

الفصل الخامس الادب الاندلسي

لمحة تاريخية :

في اواخر القرن الاول الهجري (اوائل القرن الثامن الميلادي) كان يحكم دمشق ، الخليفة الوليد بن عبد الملك ، باني الجامع الاموي المشهور . وكان واليا على المغرب ، موسى بن نصير . . . في ذلك الوقت كانت اسبانيا مضطربة فاسد يحكمها « الفندال » : فارسل امير (سبتة) الى موسى بن نصير يستجده ، ويستجير على (رودريك) ملك الفندال . فأعد الاخير حملة قادها مولاة طارق بن زياد ، واستطاع ان يهزم رودريك ، ومضى يفتح البلاد الاسبانية ، يساعد على ذلك ، نقمة الشعب الاسباني على حكمه ، حتى تم احتلال قسم كبير من اسبانيا . وظل يحكمها الولاة الامويون حتى سقوط العرش الاموي ، وقيام الدولة العباسية .

ولكن عبد الرحمن الاول (الداخل) استطاع ان ينجو بنفسه من سيف العباسيين ، عابراً المغرب الافريقي ، الى الاندلس عام (١٣٨ هـ - ٧٥٦ م) حيث انشأ دولة اموية ، ذات حضارة ، وجعل قرطبة عاصمة لها ، وفيها بني الجامع العظيم الذي قام ، في حينه ، مقام جامعات اليوم . وقد استمرت هذه الدولة الاموية حتى عام (٤١٨ هـ) وبعد ذلك ، حكم الاندلس (ملوك الطوائف) حكماً قائماً على الامارات المستقلة والمتنافسة .

ثم حكم (المرابطون) الذين قدموا من افريقيا بقيادة زعيمهم (يوسف بن تاشفين) ، وبسطوا نفوذهم على الاندلس ، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري (اواخر القرن الحادي عشر الميلادي) .

وتبعهم (الموحدون) الذين قوض حكمهم ، فرديناند الثالث الملك الاسباني . ولم يبق للعرب بعد ذلك ، سوى دولة (بني الاحمر) التي سقطت عاصمتها غرناطة ، سنة (٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م) وبذلك انحسر الحكم العربي نهائياً عن الاندلس .

ويمكن ، على العموم ، تقسيم العهود الاسبانية سياسياً ، الى قسمين :

(١) العهد الاموي :

١ - الولاة : وطابعه عدم الاستقرار .

ولم يكن له أي أثر على الادب (٩٢ هـ - ١٣٢ هـ)

ب - الدولة الاموية : وطابعها العام ، الاستقرار والازدهار العلمي والادبي ،

وبعد هذا العهد ، ازهى العصور الاندلسية .

(١٣٨ هـ - ٤٢٨ هـ - ٧٥٦ م - ١٠٣١ م)

(٢) عهد ملوك الطوائف :

وهو عهد الامارات المتنافسة ، كامارة بني عباد في اشبيلية ، وإمارة بني ذي النون في طليطلة ، وإمارة بني عامر في بلنسية ، وإمارة بني الاحمر في غرناطة . . . وقد تخلل هذا العهد ، حكم المرابطين والموحدين .

(٤٢٨ هـ - ٨٩٧ هـ - ٤٩٢ م - ١٠٣١ م)

الادب الاندلسي :

لم يكن للعرب في الاندلس أول الامر ، ادب خاص بهم ، يختلف عن الادب العربي في مده الأول : المشرق .

ذلك أنهم حملوا معهم الى الاندلس ، ادبهم وطرائق تعبيرهم ، فوق ما حملوه من دين وعصبية قبلية وقومية ، ونزوع لنشر حضارتهم الجديدة .

وهذا يعني أن ادبهم ، في مواطنهم الجديدة ، ظل محتفظاً بالطابع العام والخاص للادب العربي في الشرق . أي أنه كان تقليدياً ، يتبع ادباؤهم فيه ادباء المشرق ، فيما يتناولون من موضوعات ، وفيما يستعملونه من اساليب التعبير ، فضلاً عن أن ادباء الاندلس ، ظلوا على صلات قوية بادباء المشرق : فبعضهم سافر الى الشرق ، للتعلم على ادبائه كالجاحظ أو بشار بن برد أو ابي نواس . كما ان الاندلسيين استنسخوا المؤلفات القيمة من المشرق ، ورجعوا بمن وفد عليهم من ادباء المشاركة ، كأبي علي القالي صاحب كتاب الامالي المشهور .

ولم يلبث الاندلسيون ، أن واجهوا عوامل مختلفة ، فعلت فعلها ، وأدت بعد فترات من الزمن ، الى تكوين ادب اندلسي خاص بهم .

عوامل تكوين الأدب الأندلسي :

١ - البيئة : فإن الاندلس ، بما تملك من جمال طبيعي ، في أنهارها المحفوفة بالاشجار ، وجنائنها الغناء ، وروباتها الخضراء ، وسهولها الفسيحة وأصالها واسجارها الحلوة . . . أثرت في ادب الأندلسيين تأثيراً كبيراً

٢- الاختلاط : وان الاتصال بسكان البلاد الاصليين ، والتزاوج الذي تم فيما بينهم ، والتفاعل الدائم في شتى حقول الفكر والعقيدة والعادات ، والاداب.. ادى الى نشأة جيل أندلسي جديد ، يتطلع الى الحياة ، بعين أندلسية ، لا اثر للتقليد أو الالتزام السابق ، فيها .

٣- ثم إن الحياة الاندلسية الجديدة ، وما جدي عليها من احدث سياسية ، وهزات وحروب مختلفة : بين الامارات بعضها وبعض ، وبينها السكان الاصليين ، وبينها وبين البربر . . كل ذلك طبع ادب الاندلسيين بطابع خاص .

٤- وكذلك عناية بعض الامراء ، وتشجيع الدولة الاموية في قرطبة للادب ، والتنافس بين دول المشرق والدولة الجديدة . . كل له اثره العظيم .

٥- والاستقرار النسبي الذي تم في عهد (الناصر) بخاصة ، وفي فترات اخرى ، قد هيا الارض الاندلسية ، لحضارة متقدمة أكثر ، ولعمران أوسع ، ولثقافات أعمق :

كل ذلك ، قد ساعد على تكوين ادب اندلسي خاص ، تفرد في مواضيع خاصة ، لم تكن لادب المشرق :

آ- كالبكاء على الممالك الزائلة ، ورثاء المدائن والضواحي والقصور .

ب- والعناية بتصوير مجالس اللهو والطرب .

ج- والاسراف في فن الغزل ، وبخاصة الغزل بجمال الطبيعة ، والمزج بين الطبيعة والانسان ، وخلع العواطف على مظاهر الطبيعة المختلفة .

د- والحنين الى الوطن .

هـ- وابتداع الموشحات (١) - والازجال .

هذا فيما يتعلق بالشعر . أما النثر فلم يجد عليه كبير تجديد ، إلا ما كان متصلاً بأدب الرحلات ، وبالفلسفة .

« ١ » يقول ابن خلدون بأن أهل الاندلس هم الذين اخترعوه ، وأن مخترعه هو المقدم بن معافر القريري . ويقول اخرون بأن الموشح فن قديم كل ما في الامران الاندلسيين هم الذين طوروه وابدعوا فيه .

والذي يهمننا هنا ، هو أن تعرف الحقائق الآتية عن الموشح

سمي موشحاً ، تشبهاً له بوشاح المرأة ، الذي تحليه التطريز والترصيع بالجواهر او غيرها . من الاحجار الكريمة ويقسم الموشح ، الى ادوار مستقلة ، وتعدد قوافيه بين دور ودور ، وغالباً ما يستهل بمقطع يسمى « اللازمة » ثم يأتي الدور بقوافيه المستقلة ، وينتهي بقطعه تكون قوافيها هي قوافي اللازمة ونظم الموشح في الاصل ، كان لغرض معين : هو تسهيل التغني بالشعر ، فكان مطلوباً من الوشاحين ان ينظموا موشحاتهم بالفاظ سهلة قريبه بحيث تطاءع النغم الموسيقي الذي يرافق الاغنية

ثم تطور بحيث أصبح يقال في اغراض كثيرة متنوعة اما الازجال ، فتنتجت عن الانحراف بالفصحى الى العامية

نماذج من الشعر الاندلسي

قال أبو البقاء الرندي يوثى الاندلس :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
هي الامور كما شاهدتها ، دول
فأسأل «بلنسية» ما شأن «مرسية»
وأين قرطبة دار العلوم ، فكم
فلا يغرب بطيب العيش إنسان
من سره زمن ، ساءته ازمان
وأين «شاطبة» أم أين «جيان»
من عالم قد سما فيها له شأن

★ ★ ★

يا من لذلة قوم بعد عزتهم
يا رب أم وطفل حيل بينهما
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت
يقودها العليج عند السبي مكرهة
أحال حالهم ، جور وطفيان
كما تفرق أرواح وابدان
كأنما هي ياقوت ومرجان
والعين باكية ، والقلب حيران

وقال أبو بكر بن عمار في مجلس هو :

وهويته يسقي المدام كأنه
متأرجح الحركات تندى ريعه
يسعى بكأس في أنامل سوسن
عنا بكأس وقد كفتنا مقلة
قمر يدور بكوكب في مجلس
كالغصن هزته الصبا بتنفس
ويدير اخرى في محاجر نرجس
حوراء قد ذهبت سكر المجلس

وقال ابراهيم ابن خفاجة يصف الاندلس :

إن للجنة بالاندلس
فسنى ضحوتها من شنب
فاذا ما هبت الريح صبا
مجتلى حسن وريا نفس
ودجى ليلتها من لمس
صحت : واشوقي الى الاندلس

وقال المعتمد بن عباد في اسره :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي
ولم يك ، والله المعيد ، حسادة
سوارح ، لا سجن يعوق ولا كبل
ولكن حيناً ، ان شكلي لها شكل

تعريف بأشهر أدباء الاندلس

(الشعر)

ابن هانيء الاندلسي: ٣٢٦هـ - ٣٦٢هـ (٩٣٨ - ٩٧٣ م)

هو ابو القاسم محمد (بن هانيء) الاندلسي . ولد بأشبيلية ، وشب خليعاً مستهتراً يتكسب بشعره ، شأنه في ذلك شأن أبيه « وقد كان شاعراً » ارتحل الى المغرب هرباً من تهمة الزندقة التي الصقها به أهل اشبيلية . اتصل بالمعز الفاطمي ومدح قائده جوهر الصقلي « وكان يعتبر أحد دعاة الدولة الفاطمية »

ولما كان في طريقه الى بلده ، ليأتي بعياله ، وافته المنية فأسف عليه المعز كثيراً ، وقال « كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق ، فلم يقدر لنا » .

قال معبراً عن كراهيته للعباسيين ، ومادحاً لجوهر الصقلي :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس ، قد قضى الأمر
وقد جاوز الاسكندرية ، جوهر تطالعه البشري ، ويقدمه النصر
وقد اشرفت خيل الآله طوالعاً على الدين والدنيا ، كما طلع الفجر

ومن شعره الحكمي ، قوله :

إنا وفي آمال أنفسنا طول ، وفي اعمارنا قصر
لنرى بأعيننا ، مصارعنا لو كانت الابواب تعتبر
اي الحياة الذ عيشتها من بعد علمي انني بشر
خرست لعمر الله السننا لما تكلم فوق القدر

وكان يدعى « متنبى الغرب » لكثرة ذكره للحرب ، ولارساله الامثال والحكم ، ولنفخامة ألفاظه ، ولتدفق شاعريته ومبالغاته الكثيرة . ولعلك تلاحظ من هذين النموذجين جمالا وقوة . لكنه على كل حال لم يبلغ منزلة المتنبى بحال .

ومن مبالغاته التي بلغ فيها حد الكفر قوله في مدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
فكأنما أنت البني محمد وكأنما أنصارك الأنصار

ابن زيدون: ٣٩٤ - ٤٦٣هـ (١٠٠٤ - ١٠٧١ م)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله . ولد في قرطبة ؛ ونشأ نشأة متروقة ؛ واتاح له وضعه الاجتماعي ؛ ان يتتقف ثقافة أدبية عالية .

وجيع ، ولا عينا يبيكيهما ثكل

ولا ذاق منها البعد عن أهلها ، أهل

اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

فأسرح لاشملي صديع ، ولا الحشا

هنيئاً لها ، أن لم يفرق جميعها

وان لم تبت مثلي ، تطير قلوبها

وقال آخر ، عود صاحباً له أن يهديه وروداً من حديقته ، ثم توقف عن ارسال ورود ، لغياب صاحبه :

قال لي الورد ، وقد لا حفظه في روضتيه
أين مولاي الذي قد كنت تهديني اليه
قلت : غاب العام ، فأيأس أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى .. ظهر الحزن عليه

وقال أبو بكر بن زهر ، الوشاح المشهور :

اللازمة :

ما للملولة من سكره لا يفيق ياله سكران
من غير خمر ما للكئيب المشوق يندب الاوطان

الدور :

هل تستعاد أياميا بالخليج وليالينا
أو يستفاد من التيسيم الاريج مسك دارينا
واذ يكاد حسن المكان البهيج ان يحينا

القفلة :

نهر أظله دوح عليه أنيق موزق فينان
والماء يجري وعائم وغريق من جنى الريحان

قال الشعر فابدهه ؛ والنثر فاجاده ؛ ويلقبونه ببحتري الاندلس ؛ والحق
انه يفوقه في كثير وخاصة في الغزل .
وزر لابن جهور امير قرطبة ؛ ولما غضب عليه سجنه . ففر الى المعتضد بن
عباد صاحب اشبيلية ووزر له حتى مات .
احب ولادة بنت المستكفي الشاعرة الاندلسية ؛ فبادلته حباً بحب كتبت
مرة الى ابن زيدون :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبى منك مالو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

وقال وقد دب الخفاء بينه وبين ولادة . - ١ -

اضحى التناهي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
ليسق عهدكم عهد السرور ، فما كتم لارواحنا ، الا رياحنا

★ ★ ★

أما هواك فلم نعدل بمشربه شرباً ، وان كان يروينا فيظميننا
لم نجف افق جمال انت كوكبه سالين عنه ، ولم نهجره قالينا
ابلى وفاء ، وان لم تبذلي صلة فالطيف يقنعنا ، والذكر يكفيننا

ومن غزله ، هذه الايات المشهورة :

ودع الصبر ، محب ودعك ذائع من سره ما استودعك
يا أخا البدر ، سناء وسنا يرحم الله زماناً اطلعك
ان يطل بعدك ليلى ، فلکم بت اشكو قصر الليل معك
ويتميز شعره ، كما لعلك تلاحظ ، بصدق الاحساس ، وبالعاطفة الرقيقة ،
وبالاصالة واسلوبه . مشرق . جميل . فيه سهولة . وفيه عذوبة .

ابن حمديس : ٤٤٧ - ٥٢٧ هـ « ١٠٥٣ - ١١٣٣ »

هو محمد بن عبد الجبار (بن حمديس) الصقلي .

١ - راجع القصيدة في كتاب النصوص للثالث اعدادي ص ٧٨

شاعر عربي ، نشأ في صقلية ، ويعد من اعظم شعرائها . اتصل بالمعتمد بن حمديس
ومدحه ، وفي عهده غزا النورمان وطنه فأنتقل الى جزيرة (ميورقه) وفيها قضى
نحبه ضريباً : يحن الى وطنه وملاعب صباه : ويعتبر ابن حمديس من ارق الشعراء
في الحنين الى الاوطان ، ومن أعظمهم قدرة على الوصف ، وعلى وصف القصور بخاصة
وقد شهد مأساتين : مأساة سقوط صقلية بيد النورمان ، وسقوط الاندلس بيد
المرابطين .. فضلاً عن أنه كان يعاني لبيب الغربة . وقسوة العمى . فأثر كل ذلك
في نفسه ، تأثيراً عميقاً ، وطبع شعره بطابع الحزن والكآبة واليأس .

قال ، يحن الى وطنه :

وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها لا الشقاء
ديار تمشت اليها الخطوب كما تمشى الذئاب ضراء
ولو انني كنت أعطى المنى اذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقاً الى ان اعانق فيها ، ذكاء

وقال يذكر صقلية ، وطنه : « ١ »

ذكرت صقلية ، والأسى بهيج للنفس تذاكرها
فان كنت أخرجت من جنة فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاء حسبت دموعي أنهارها
وقال يصف قصراً بناه الملك منصور بن أعلى الناس . وزينه بالنقوش ونصب
تماثيل اسود في ساحته . ينفر منها الماء في بركة جميلة تعلوها اشجار علفت بها الثمار
والطيور من الذهب والفضة :

وتركت خريز الماء فيه زئيراً وضراغم سكنت عرين رئاسة
واذاب في أفواهها البلورا فكأنما غشي النضار جسومها
في النفس . لو وجدت هناك مثيراً أسد . كأن سكونها متحرك
اقعت على أدبارها . لشورا وتذكرت فتكاتها . فكأنما

★ ★ ★

وبديعه الثمرات تعبر نحوها عيناى . بحر عجائب مسحورا

١ - راجع القصيدة في كتاب النصوص صفحة ٧٢

شجرية ذهبية نزعنا الى
قد سرجت أغصانها . فكأنما
سحر يؤثر في النهى تأثيراً
قبضت بهن من الفضاء طيوراً

المعتمد بن عباد : ٤٣١ - ٤٨٨ هـ (١٠٤١ - ١٠٩٥ م)

هو المعتمد على الله أبو القاسم ، محمد بن عباد . ولد في مدينة « باجة » في عصر ملوك الطوائف بعد ان سقطت الخلافة الاموية في قرطبة ، وبعد أن استقبلت الاندلس عهداً من الفتن والحروب والغارات ، بين الممالك والامارات ، المتنافسة المتباغضة .

كان أبوه « المعتمد » ملك اشبيلية ، يحب الشعر والشعراء ، فنشأ المعتمد متأثراً بأبيه . ولما مات هذا ، تولى شاعرنا العرش ، وارثاً عداوات لا حصر لها مع ملوك الطوائف ، ومع الاسبان .

حاول أن يقضي على ملوك الطوائف ، فأستعان بالاسبان ، فنتج عن ذلك ان اضعف نفسه واطعن ملوك الطوائف ؛ ولم يستفد من هذه العملية غير الاسبان .. ولما وجد نفسه وحيداً مهدداً ؛ استنجد بالمرابطين ؛ فأنجذوه وانتصروا معه على اعدائه . ولكن هؤلاء المرابطين ما لبثوا قليلاً ، حتى سحرتهم الطبيعة الحلوكة « وكانوا قد جاءوا من شمال افريقيا » فقادوا حملة ؛ سقطت على اثرها اشبيلية ؛ بملكة شاعرنا : بعد أن قتل المرابطون ولديه ؛ ونقلوه الى افريقيا ؛ وهناك مات اسيراً ؛ وحيداً ؛ يائساً ؛ منكوباً ..

ومن رائع شعره : قوله في (أغمات) وهو اسير .

فيما مضى كنت بالاعيا دمسروراً
تري بناتك ، في الاطمار ، جائعة
برزن نحوك للتسليم خاشعة
يطآن في الطين والاقدام حافية
لاخذ الا تشكى الجذب ظاهره
قد كان دهرك ان تأمره ممثلاً
من بات بعدك في ملك يسر به
فجاءك العيد في اغمات مأسورا
يغزلن للناس ، ما يملكن قطميرا
أبصارهن ، حسيرات مكاسيرا
كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
وليس الا مع الأنفاس ممطورا
فردك الدهر منهياً ومأمورا
فانما بات بالاحلام مغرورا

وقال متغزلاً :

أنا في عذاب من فراقك نشوان من خمر اشتياقك
صب الفؤاد الى لقاءك وارثافك واعتناقك
هذي جفوني اقسمت لا تلتقي ما لم تلاقك

وهكذا ترى في شعره جمالا ، وقدرة على التعبير الشعري ، وصدقاً . وبخاصة عندما يفيض قلبه بمشاعر الحزن والتشرد .. ولا غرو فهو فتان عبر عن تجاربه بقوة وصدق . وهو بالاضافة الى ذلك . ابن الاسر والسجون . ابن المأساة .

ابن سهل الاندلسي ٦٠٩ - ٦٤٩ هـ

هو ابراهيم بن سهل الاسرائيلي ولد في اشبيلية وكان يهودياً فأسلم يمتاز شعره بالرفقة والعدوبة أثر جمال الطبيعة في نفسه فنشأ ماجناً متغزلاً توفي غرقاً سنة ٦٤٩ هـ قبل ان يتم الاربعين . ومن جميل شعره موشحه هذا

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
فهو في حر وخفق مثلما
قلب صب حله عن مكس
لعبت ريح الصبا بالقبس
★ ★ ★

يا بدوراً اشرفت يوم النوى
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى
أجتني اللذات مكوم الجوى
غراً تسلك بي نهج الغر
منكم الحسنى ومن عيني النظر
والتذاذي من حبسي بالفكر

كلما اشكوه وجدي بسما
اذ يقيم القطر فيها مأتما
كالربا بالعارض المنبجس
وهي من بهجتها في عرس
★ ★ ★

أيها السائل عن ذنبي لديه
أخذت شمس الضحى من وجنتيه
ذهب الدمع باشواقى اليه
لي جزاء الذنب وهو المذنب
مشرقاً للشمس فيه مغرب
وله خد بلحظي مذهب

★ ★ ★

ينبت الورد بغرسي كلما
ليت شعري أي شيء حرما
لاحظته مقلتي في الخلس
ذلك الورد على المغترس

★ ★ ★

كلما اشكو اليه حرقى
تركت الحاظه من رمقى
غادررتي مقتلته دنفا
أثر النمل علي صم الصفا
وانا اشكره فيما بقى
لست ألحاه على ما أتلغا

★ ★ ★

فهو عندي عادل إن ظلما
ليس لي في الامر حكم بعد ما
وعنولي نطقه كالخرس
حل من نفسي مكان النفس

النثر

ابن عبد ربه : ٥٢٤٥ - ٣٢٧ هـ (٨٥٩ - ٩٣٩ م)

هو احمد بن محمد بن عبد ربه ، سليل موالي الأمويين في الاندلس . ولد بقرطبة ، وتتق ثقافة عربية مشرقية على الغالب ، ولذا جاء معظم كتابه « العقد الفريد » يحتوي على أخبار المشاركة وآثارهم ورسائلهم وقصصهم وشعرهم وتناول فيه نبذاً من أخبار الاندلسيين وآثارهم ، وضم باقيه ؛ كتاباته الخاصة وهي تدور حول الغناء والالخان وما يتصل بها . قال يصف كتابه :

(وقد الفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ، وبحصول جوامع البيان ، فكان جواهر الجوهر ولب الباب . وانما لي فيه الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب . وما سواه مأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء .. ومن انشائه :

« وزعم اهل الطب أن الصوت الحسن ، يسري في الجسم ويجري في العروق ويصفو له الدم ، ويرتاح له القلب وتموله النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات ، ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوم على اثر البكاء حتى يرقص ويطرب .. »

فأنت تلاحظ : أن أسلوبه جميل ، يجري على طريقة النثر المرسل ، الخالي من التعقيد والغريب والتكلف .

ابن شهيد : ٣٨٢ - ٤٢٦ هـ (٩٨٨ م - ١٠٣٤ م)

هو أبو عامر بن أبي مروان بن شهيد . وأبوه كان من اهل الرياسة ، فنشأ مترفاً منعماً ، وشب خليعاً ماجناً ساخراً ..

وقد كان لايه تأثير عميق في نفسه : ذلك أن أباه في آخر حياته ، انكمش على نفسه معتزلاً بالناس ، معتكفاً في بيته ، مزاولاً حياة الزهد والتقشف مع العلم انه كان في شبابه ذا انطلاق وهو .. وبعد هذا التحول أصر على أن يحرف ولده في تيار الزهد ، فأحبسه في محتبسه المتقشف : فهو يلبسه مدارع الكتان ويلزمه بأنواع من الطعام والشراب ، والطاعة والسلوك الذي لا يناسب الصغار أمثاله ، ومن اليسير ان نتصور ما يمكن أن يعتري نفس طفل ، هذا أمره ، من اضطراب وقلق ، وما يمكن ان يأخذه عن الحياة والاحياء من أفكار سيئة .

هذه شهادة مؤرخ ثقة .. والحق ان ذلك كان صدمه قوية له . فكثير اعداؤه وخصومه ، وكان أغلب انتاجه مناوشة أو مهاجمة لادباء عصره . وان هذه الروح التي تأثر بها من أبيه . قد اوجت اليه بأعظم كتاب انتجه الا وهو رسالة (التوابع والزوابع) في الادب ونقده ، ففي هذه الرسالة يأخذ بالقارئ الى عالم الجن ليقابل شياطين الشعراء هناك ويقارضهم الشعر . وغرضه من ذلك هو ان يضع بين ايدينا قصائد ومقطوعات شعرية قالها هو ، موازناً بينها وبين ما قاله السابقون ، ليظهر فضله ويعظم قدره . وتشيع السخرية اللاذعة . والتهمك المر فيها وقد يتخطاها الى بداءة غير محتملة ! مدفوعاً بروح الانتقام والتشفي .

وسنعرض عن هذا اللون البذيء من سخرياته ، مثبتين له هذا النص الساخر الجميل ، في خصم من خصومه :

« ومن العجب ايضاً في امره ، ان كل كاتب كتب للسلطين عندنا وكل شاعر مدحهم ، رويت اشعاره ورسائله ، غير ابي القاسم وحده ! على انه . انما جلس للتعليم على هذا المعنى ! ولو انه استرى الزبيب لصبيان المساجد . وقشور أصل الجوز لصبيغ شفاء جراحيات الخانات . وروى الطبقتين ما عنده لعرضنا رسومه وجباله ، وروينا

اشعاره ورسائله ، وغنتنا بهم على قوارع الطرق ومناقع المياه ، ومطارح الذبول
وهو مع كل ذلك . يسينا الهجج الهامج ، ويسمي البديع وشمس المعالي
الصبايبي العضاريط !

ولم يقصر بنا عنده ، الاتوقينا لثقافته ، وهو يرى أن بعض صبياننا قد
أقلقوه حين قالوا : ليست مشيته مشية أديب . ولا وجهه وجه أريب . ولا
جلسته جلسة عالم . ولا أنفه أنف كاتب . ولا نفخته نفخة شاعر .

وحكوا انه اذا مشى الخيزلي ، وتقدم قليلاً ثم رجع القهقري ، والقصة في
يده ، والخرج على عاتقه ، احدث الناس في اخراج لعبة اليهودي ، فأقلقوه
بما سمع ، فكيف لو عضته انياب غير مغلوله ، وخدشته اظفار غير مقلمة .. »

لسان الدين الخطيب

هو ابو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب ، ولد في غرناطة
ونشأ في اسرة عريقة في العلم والادب ، اتصل بملوك بني الاحمر وتنقل بين
غرناطة وشمالى افريقيا . وزر لاكثر من ملك . وكان يعتبر من كبار ادباء
الاندلس ومفكرها . كان واسع الثقافة . واسع النشاط الادبي والفكري
والعلمي ، وكانت مع ذلك كله ، وشاحاً مشهوراً ..

اشهر آثاره الادبية ، كتابه «الاحاطة في تاريخ غرناطة» وقيل انه مات
خنقاً ، بمدينة (فاس) بسبب رميته بالزندقة (مذهب الفلاسفة) ولم يعرف على
وجه التحديد في اي عام كان ذلك .

ومن شعره ، الموشحة المشهورة ، والتي مطلعها :
جاءك الغيث اذا الغيث همى يازمان الوصل بالاندلس

ومن نثره :

« اما للشوق فحدث عن البحر ولا خرج ، واما الصبر فسل به اية درج ،
بعد ان تجاوز اللوى والمنعرج ، ولكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من
روح الله الأرج .. »

وانه لو اوضح ، ان اسلوبه في النثر يجري على طريقة السجع المتكف
وقائم على الصناعة اللفظية .



تذنيه

سقطت كلمة احياناً من بين كلمتي « المقفى والمعروض » وذلك في السطر
السادس عشر من الصفحة السادسة ، وسقطت ايضاً كلمة « من » من بين كلمتي
« نبك وذكري » وذلك في السطر الخامس والعشرين من الصفحة السادسة عشر
ووردت كلمة « الاصل » زائدة بعد كلمة « فارسية » وذلك في السطر العشرين
من الصفحة الحادية عشر . ووردت كذلك كلمة « قال » زائدة قبل كلمة « بعض »
في السطر السابع من الصفحة السادسة عشرة ، ونرجو ان تتلافى ذلك في
الطبعات القادمة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الكتابة والشعر في صدر الاسلام	٣٣	مقدمة	٣
اغراض الشعر . معانيه . ألفاظه . أخيلته	٣٤	تمهيد . الأدب . وظيفته . عناصره	٥
نماذج من الشعر الاسلامي	٣٥	أقسام الادب	٦
الفصل الرابع - العصر الأموي		العوامل المؤثرة في الأدب	٧
الخطابة في العصر الاموي .	٣٨	عصور الأدب العربي	٨
نماذج من الخطابة الأموية	٣٩	الفصل الثاني - العصر الجاهلي	
الكتابة في العصر الأموي وأطوارها	٤٠	لمحة عن حياة العرب الاجتماعية والسياسية .	١٠
التوقيعات	٤١	حياة العرب الدينية والعقلية	١١
الشعر في العصر الأموي	٤٢	الشعر الجاهلي	١٢
والاغراض الجديدة والقديمة ونماذج على كل منها		نماذج من الشعر الجاهلي	١٣
الفصل الخامس - الأدب الأندلسي		المعلقات . امرؤ القيس ومعلقته	١٦
لمحة تاريخية عن الأندلس	٤٨	طرفه بن العبد ومعلقته	١٨
الأدب الأندلسي وعوامل تكوينه	٤٩	زهير بن أبي سلمى ومعلقته	١٩
نماذج من الشعر الاندلسي	٥١	عنزة العبيسي ومعلقته	٢١
تعريف بأشهر أدباء الاندلس	٥٣	عمر بن كلثوم ومعلقته	٢٢
ابن حمديس الصقلي	٥٤	النثر الجاهلي - الخطابة	٢٤
المعتمد بن عباد	٥٦	نماذج من الخطابة الجاهلية	٢٥
ابن سهل الاندلسي	٥٧	الوصايا ونماذج عليها	٢٦
النثر - ابن عبد ربه	٥٨	الحكمة والمثل ونماذج عليها	٢٧
ابن الشهيد	٥٩	الفصل الثالث - عصر صدر الاسلام	
لسان الدين بن الخطيب	٦٠	أثر الاسلام في حياة العرب الاجتماعية ولغتهم	٢٨
تنبه	٦١	أثر القرآن في الأدب	٢٩
تصويب	٦٢	الحديث وأثره في اللغة والأدب	٣٠
		النثر في عصر صدر الاسلام	٣١
		موضوعات الخطابة ومميزاتها ونماذج عليها	٣٢

تصويب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
متى	من	٦	١٧
تقتل	تقتل	١١	٩
الأدب	الأب	١٢	١٥
داخليته	وأخيلته	١٣	٥
اعش	أعشى	١٣	١٢
انشأت	أنشئت	١٣	١٥
الحد شان	الحدثان	١٥	٥
منزلة	منزل	١٦	٢٥
ارض	أرضى	١٧	١١
العرض	الدمن	٢٠	٢
المخالفين	المخلفين	٢٠	١٠
الشديد	الشريد	٣٤	٢٤
نجبية	نجبية	٣٧	٩
مرداد	مردان	٣٧	٤
الفجأة	الفجاءة	٤٠	٧
تذرة	تذروه	٤٠	١٤
تطمع	تطمع	٤٢	٢٦
وما	ما	٤٣	٢٤
صاحت	صاحب	٤٥	١٠
التطريز	بالتطريز	٥٠	٢٦
اياها	ايامنا	٥٢	١٥